بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخرطوم

كليّة الدِّراسات العليا

كليَّة الآداب – قسم اللُّغة العربيّة

أبو علي القالي وكتابه الأمالي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللُّغة العربيَّة

إعداد الطالبة:

أماني أحمد عثمان سيد أحمد

إشراف الدكتور:

عبد الله محمد أحمد

رمضان 1429هـ - سبتمبر 2008م

المحتويات

الباب الأول

الفصل الأول

حياة أبي علي القالي

ويشتمل على المباحث التالية

المبحث الأول: اسمه ونسبه

المبحث الثاني: رحلة أبي علي القالي إلى بغداد

المبحث الثالث: رحلة أبي علي القالي إلى الأندلس

المبحث الرابع: نبوغه في اللغة والأدب

المبحث الخامس: ثقافة القالي

المبحث السادس: تلاميذه

المبحث مؤلفاته

المبحث الأول:

اسمه ولقبه ونسبه:

هو أبو على إسماعيل بن القاسم بن عيذُون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان وجده سلْمان مولى عبد الملك بن مروان[1]. ولد بِمنَازجِرْد من ديار بكر سنة 228هـ وفي رواية أخرى سنة 280هـ والراجح الرواية التي جعلت ولادته سنة 280هـ [2]لأنها أقدم رواية، ولأنها تجعل سنة مغادرته منَازجِرد إلى العراق معقولة (303هـ)، ولعل هذه الرواية هي الأرجح لان الزبيدي الذي ترجم للقالي سأله شخصياً عن نسبه ومولده فذكر له سنة 280هـ[3].

أما سبب تسميته بالقالي فلأنه منسوب إلى قَالِى قَلا بلد من أعمال إرمِينية- قال القالي عن نفسه: (لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رفقة كان فيها أهلُ قالى قَلا وهي قرية من قرى منَازجرد وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر، فلّما دخلنا بغداد نُسبتُ إليهم لكوني معهم وثَبت ذلك علي...)[4].

وكانوا يسمونه البغدادي لطول مقامه فيها، ووصوله إليهم منها، لهذا صار يعرف بأبي علي القالي البغدادي. وفى النص السابق ما ينم عن عصامية القالي وأنه هو الغريب في بلد كبير مثل بغداد كان عليه أن يبدأ الطريق من أوله وأن يجد له مكاناً بين الزحام، حتى قيض له أن يبلغ أقصى درجات الشهرة في المشرق والمغرب.

---

(1) الأمالي – تأليف أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي – المجلد الأول – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ ص 1

(2) أبو علي القالي وأثره بالفكر الأندلسي – د. خليل الكبيسي – المؤرخ العربي ، ص 331

(3) معجم الأدباء – لياقوت الحموي – الجزء الثاني – الطبعة الثالثة – دار الفكر للطباعة – بيروت 1980م ص 352

(4) الأمالي الجزء الأول ص 2 ، وانظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي ج2 ص 353، ولكن ياقوت ذكر في معجمه أول ترجمة للقالي قال: (قال القالى عن نفسه: لما دخلت بغداد أنتسبت إلى قالى قلا، رجاء أن انتفع بذلك، لأنها ثغر من ثغور المسلمين لا يزال بها المرابطون) ...الخ

المبحث الثاني:

رحلة أبي علي القالي إلى بغداد:

توجه أبو علي القالى إلى العراق وكانت يومئذٍ مهد العلم ومنْتَدى الأدب، فدخل بغداد سنة 303هـ[1].

إذن فقد بدأ رحيله في طلب العلم ببغداد سنة 303هـ بإجماع المؤرخين إلا أنهم اختلفوا في سنة وصوله إليها فمنهم من يقول : إنه دخل بعداد 303هـ ، ومنهم من يقول : إنه أقام في الموصل ودرس فيها ثم رحل إلى بغداد ودخلها سنة 305هـ.

وقد رجح كثير من الباحثين الرواية الأخيرة[2] لأن هذا التاريخ ذكره القالي نفسه عندما سأله تلميذه الزبيدي عن حياته، ولأن الرواية الأخيرة أقرب إلى الصدق. لأنها لا تنفي قدوم القالي إلى بغداد، كما وأن الموصل في طريق القادمين من ديار بكر، ولأن المصادر ذكرت صراحة اسم عالم أو أكثر ممن أخذ عنه في الموصل[3].

كما أن أبا علي حين بلغ الخامسة عشرة من عمره شعر أن منَاذْجرد القصية لا تتسع لمطامحه فشد الرحال إلى بغداد طلباً للعلم ، وكانت بغداد منتجعاً للأدباء وقبلة للطلاب والمريدين ، وفي بهاء مساجدها كان يتربع شيوخ اللغة والأدب والنحو ... ومن حولهم حلقات حاشدة من طلاب المعرفة أمثال القالي ، وقد روى أبوعلي نفسه قصة رحلته ولقبه لتلميذه أبي بكر الزبيدي صاحب "مختصر العين " فقال : " رحلت إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمئة، فأقمت بالموصل ، وكتبت عن أبي يعلي الموصلي وغيره . ثم دخلت بغداد سنه خمس وثلاثمئة ، فأقمت بها إلى سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة..."[4].

---

(1) الأمالي – لابي على القالي – ج1 ص 2

(2) أبو على القالي ومنهجه في البحث والتأليف – عمر الدقاق دار الشرق – حلب 1977م ص 515

(3) أبو على القالي وأثره بالفكر الاندلسي – المؤرخ العربي – د. خليل الكبيسي – ص 224

(4) الأمالي ج1 ص 4 - 5

شيوخه في بغداد :

وفي بغداد وجد أبوعلي ضآلته وشعر بدنو منيته ، فاندفع يطلب العلم بحماس شديد ، يتردد على الشيوخ ويحضر المجالس العلمية ويتجول في دكاكين الوراقين ويقتني الكتب ، وقد ظل القالي البغدادي على هذه الحالة ثلاثاً وعشرين سنة أو يزيد، ومن حسن حظه أن بغداد في هذه الفترة كانت مزدهرة بالحركة العلمية بمجالاتها المتعددة، فيها من العلماء الأعلام والشيوخ الكبار العدد الكثير . فأكب على الدرس والتحصيل[1] ، وتَلْمذَ على يد نخبةٍ ممتازة منهم سواء كان ذلك في الحديث أم اللغة أم الأدب أم الأخبار أو القراءات وغيرها.

وقد ذكرت لنا المصادر القديمة التي ترجمت لأبي على القالي البغدادي أسماء كثير من شيوخه فخص منهم بالذكر أبا القاسم عبد ا البغوى الذي سمع منه القالي الحديث وأبا سعيد الحسن بن علي بن زكريا بن يحيى صالح بن عاصم بن زفر العدوى، وأبا بكر عبد ا بن أبي داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني وأبا محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ويوسف بن يعقوب القاضي والحسين بن إسماعيل المحاملي وغيرهم. وقرأ النحو والعربية والأدب على ابن درستويه والزجاج والأخفش الصغير ونفطويه وابن دريد وابن السراج وابن الانباري وابن أبي الأزهر وابن قتيبه وغيرهم، وهم الذين تكررت روايته عنهم فيما يمليه[2].

وقد مال أبو علي بطبعه إلى اللغة وعلوم الأدب فبرع فيها واستكثر منها، ووصف بأنه (كان أحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر الجاهلي وأحفظهم له وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين)[3].

إن مثل هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم في بغداد وربما في غيرها هم من مدن العراق، والحقبة الطويلة التي قضاها بصحبتهم كونت شخصية القالي الثقافية ووسمتها

[1] أبو على القالي وأثره بالفكر الاندلسي ص 225
[2] جاءت ترجمة مختصرة لهؤلاء العلماء في كتاب الأمالي – للقالي الجزء الأول ص 2 – 4
[3] أبو على القالي وأثره بالفكر الأندلسي – ص 226

بالسمة البغدادية العراقية، وجعلته عالماً متميزاً بـالروح العلميـة وسـعة الاطـلاع والتوثيق فيما يأخذ ويدرس، مما جعلها فيما بعد من أكبر العوامل التي أمالـت إليـه قلوب الأندلسيين وأثرت في طلابه تأثيراً بعيداً ووضعت الأصول الصحيحة للحيـاة اللغوية بالأندلس.

كما أننا نستطيع القول: "بأن شهرته في العراق أخذت تستفيض بعد وفاة أكثر شيوخه وبخاصة ابن دريد صاحب كتاب "الجمهرة في اللغة" وإذا ذاك استقل أبو علي بشخصيته وتم له النضج وغدا بذكائه واقتداره في الرواية وتمكنه في اللغة ذا شأن في بغداد[1].

[1] أبو على القالي ومنهجه في البحث والتأليف – ص 516

المبحث الثالث:

رحلة أبي علىّ القالي إلى الأندلس:

يعد القرن الرابع الهجري، مرحلة متميزة في تاريخ الثقافة العربية في الأندلس، إذ اكتملت فيه جميع العوامل الباعثة على قيام نهضة حضارية متعددة الجوانب والآفاق. ففيه استقلت الأندلس بخلافتها رسمياً عن المشرق وتوسعت الدولة وتطلعت بطموحها السياسي إلى ما وراء الجزيرة الإيبيرية، وتوطد دعائم الحكم على يد ثلاثة من كبار رجالات السلطة العظام هم: الناصر – والمستنصر – والمنصور.

ومنذ بداية ذلك القرن أعلن عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة، واضعاً بذلك إطاراً سياسياً فاصلاً لبلاده عن التبعية للمشرق، وكان الناصر يعمل على خلق كيان حضاري يطبع الأندلس بطابع خاص...يجعلها منافسة لعواصم الشرق الكبرى ولاسيما بغداد العباسية التي أصبح نفوذها وسلطانها يتقلصان يوماً بعد يوم.

فكان على الأندلس الأموية أن تنهض بنفسها لتؤدي الدور التاريخي الذي أدته، وكان عليها أن تتألق وتتأنق حتى تجتذب الأنظار وتصبح حاملة لواء الحضارة الإسلامية في هذا الجناح من العالم الإسلامي[1].

هذه مقدمة مختصرة لهذا العصر الذي عاش فيه أبو على القالي ولا أريد أن أتحدث عن كل العوامل الباعثة على ازدهار الثقافة الأندلسية ابتداءاً من ذلك القرن ولا عن تلك التي عملت على توجيه هذه الثقافة نحو مسالك أخرى، فهذا موضوع طالما بحثه الدارسون قدامى ومحدثون. ولكن أريد أن الفت من جديد نظر المعنيين إلى ذلك التيار الذي غرسه بالأندلس أبو على القالي ونماه بعده تلاميذته الأندلسيون وأشاعوه وتقدموا به مراحل وأشواطاً بعيدة عبر طبقات بعضها أخذ بتلابيب بعض حتى صار ذلك التيار هو الغالب بسماته على مناهج الدراسة اللغوية في الأندلس وسيأتي التفصيل له فيما بعد.

---

[1] المعجم العربي في الأندلس – عبد العلي الودغيري – عالم الفكر 1981م – ص 75

استدعاء القالي من بغداد إلى الأندلس:

أقام أبو على القالي ببغداد خمساً وعشرين سنة ذاع فيها صيته وعمت شهرته، ولما كان الخليفة عبد الرحمن الناصر – الذي رفع منار العلوم والفنون في الأندلس، وأدخل فيها مفاخر كل جهة وزينة كلّ بلد – يحترم العلماء ويجلّهم ويقدرهم أعظم تقدير، لأنهم روح الأمة وحياتها ويعمل على إنهاض أمته بنشر العلم لتسمو إلى مراقي الفلاح، سمع بشهرة أبي على القالي في اللغة والأدب فكتب إليه ورغبه في الوفود عليه لنشر علمه[1]، والاستفادة من معارفه وعلومه، فلبى دعوته، وعند قدومه إليها استقبل استقبالاً عظيماً، وكان ولي العهد "الحكم" ووزراء والده ووجوه رعيته في مقدمة المحتَفِين به[2].

وعند قدومه أُحتفل به احتفالاً فخماً وصفه المقري مؤلف كتاب "نفح الطيب" بقوله: "وفد على الأندلس[3] أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن فأمر ابنه "الحكم" وكان يتصرف عن أمر أبيه كالوزير، فقد أمر عامِلَهم ابن رماحِس أن يجئ مع أبي على الى قُرطُبة[4]، ويتلقّاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكُورة تكرمة لأبى على ففعل وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار وكان دخوله إليها لثلاث بقين من شعبان من سنة 330هـ كما ذكر ذلك ابن خلّكان[5].

وقال صاحب "نفخ الطيب": "بعض المؤرخين يزعم أن وِفَادة أبي على القالي إنما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالأندلس لا في خلافة أبيه الناصر، والصواب أن وفادته كانت في أيام الناصر"[1].

(1) الأمالي – ص 5 انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس "للضبّيّ" ، طبع مدينة مجريط 1884م ص 217 – ومعجم الأدباء لياقوت الجزء الثاني ص 353

(2) المصدر نفسه ص 5 ، 6

(3) نفح الطيب – للمقريّ – طبع 1855م ج2 ص 48

(4) قرطبة : مدينة عظيمة على نهر الوادي الكبير بالأندلس وكانت قاعدة الدولة الأموية وآل جهور من ملوك الطوائف- معجم البلدان لياقوت الحموى- دار صادر – بيروت – 1957م – المجلد الرابع ص 324

(5) وفيات الأعيان – لابن خلكان – طبعة باريس 1838م ج 1 ص 109

(1) الأمالي ج1 – ص 6 انظر: نفخ الطيب ج1 ص 250

وعند دخوله الأندلس نزل ضيفاً مكرماً معززاً على الخليفة الناصر فأكرم مثواه، وأحسن منزلته، وأعلى قدره، واختصه بتعليم ولي عهده "الحكم" واستوطن قرطبة، فأورث أبو على أهل الأندلس عِلْمه وأفاد الحكم بأحسن ما عنده. كما قام الحكم بإكرامه وتشجيعه على التأليف[2]. وكما كان أبو على محل إكرام الخليفة عبد الرحمن الناصر وموضع عنايته كذلك كان بعد ما تولى الخليفةُ الحكم[3] عرش الأندلس فبالغ في إكرامه وإجلاله، إذ كان أستاذه الذي ثقف عقله بالعلوم والمعارف وبثّ فى نفسه حب العلم، فكان الخليفة الحكم أحب ملوك الأندلس للعلم ، وأكثرهم اشتغالاً به وحرصاً عليه وكان يحث أبا على على التأليف وينشّطه بواسع العطاء، ويشَرح صدره بالإفراط في الإكرام، فانقطع إلى العلم والأدب، وعكف على التأليف وأملى مؤلّفاتهِ القيمةَ التي فاق بها من تقدمه وأعجز من بعده.

وعند دخول القالي الأندلس مدحه الشاعر المشهور يوسف بن هارون الكِنْدي المعروف بالرمادي بقصيدة قال فيها[4]:

روض تَعاهده السحِاب كأنه	متعاهد من عهد إسماعيل
قِسه إلى الأعراب تَعلم أنه	أَولَى من الأعراب بالتفضيل
حازتْ قبائلهم لُغاتٍ فُرقت	فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خالٍ بعده فكأنما	نزل الخراب بربعه المأهول

[2] المصدر نفسه ص 9

[3] الحَكم: هو المستنصر بالله ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر، اعتلى عرش الملك بعد وفاة أبيه وقام بأعبائه أتمّ قيام (350هـ-366هـ) – الامالي ج1 ص 9

[4] المصدر نفسه ص 8

وكأنــه شــمس بــدتْ فــي غَربنــا وتَغَيبــتْ عــن شــرقهم بــأُفول
يــا ســيدي هــذا ثنــائي لــم أقُــلْ زوراً ولا عرضــتُ بالتنويــل
مــن كــان يأمــل نــائلاً فأنــا امــرؤٌ لــم أرج غيــر القُــرب فــي تــأميلى

أما ما قاله القالي عن أهل الأندلس فقد ذكره ابن بسام في الذخيرة[1]: "أن أبـا علي البغدادي صاحب الأمالي الوافد على الأندلس في زمان بني مروان قـال: لمـا وصلت القَيروان وأنا أعبر من أمر به من أهل الأمـصار، فأجِـدهم درجـات فـي العبارات وقلّةِ الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد، كأن منـازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة، قال أبو على فقلت: إن نقَص أهل الأندلس عن مقادير من رأيتُ في أفهامهم بقَدر نقصان هؤلاء قبلهم، فـسأحتاج الـى تَرجمان في هذه الأوطان. قال ابن بسام: فبلغني انه كان يصِلُ كلامه هذا بالتعجـب من أهل هذا الأفُق الأندلسي في ذكائهم ويتَغِطى عنهم عند المباحثة والمفاتشة ويقـول لهم: "إن عِلْمي عِلْم رواية وليس بعلم دِراية فخذوا عني ما نقلـتُ، فلـم آل لكـم أن صححتُ ، هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والأخـذ عـن الثقات"[2].

وكان القالي مع واسع علمه، وأدبه الجم ، وكبير احترامه وسمو منزلته، لطيفُ المزاح، جميل المداعبة فكِهاً، أنيس العِشْرة، يتجلى كل هذا فيما دار بينه وبين أحـد قضاة الأندلس في عصره، وقد طلب أن يعيره كتابا، قال الحميدى في كتابه "تـاريخ الأندلس"[1] "أخبرنا القاضي أبو الحكم منذر ابن سعيد البلّوطي قال: كتبتُ إلـى أبـى على البغدادي القالي استعير منه كتابا في الغريب وقلت:

---

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – لأبي الحسن على بن بسام طبعة القاهرة 1945م ص 225
(2) الأمالي ج1 ص 9 انظر نفخ الطيب ج2 ص 107
(1) معجم الأدباء لياقوت ج2 ص 354

بحقّ رئمٍ مهفْهف وصدغِهِ المتعطفْ

ابعث إلى بجزءٍ من الغَريبِ المصنف[2]

قال فقضى حاجتي وأجابني بقوله:-

وحقّ در تَألّف بفيك أي تألفْ

لأبعثن بما قد حوى "الغريب المصنف"

ولو بعثْتُ بنَفْسي إليك ما كُنتُ أسرف[3]

---

(2) الغريب المصنف: كتاب في غريب الحديث لأبي عمرو اسحاق الشيباني النحوي اللغويّ الكوفي المتوفي سنة 206هـ ذكره صاحب كشف الظنون في ج2 ص 57، 58 – الامالي ج1 ص 11

(3) المصدر نفسه ، ص 12

المبحث الرابع:

نبوغه في اللغة والأدب:

مال أبو على القالي بطبعه إلى اللغة وعلوم الأدب، فبرع فيها واستكثر منها، ونبغ نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه. وعده المؤرخون إماماً ثبتا، وحجة ثِقة، فوصفه الضبي في كتابه "بغية الملتمس"[1] بقوله: "كان أبو على إماما في علم اللغة، متقدما فيها متقنا لها، فاستفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه غاية في التقييد والضبط والإتقان. وقد ألّف في علمه الذي اختص به تآليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته"[2].

وقد أقبل عليه العلماء والأدباء للاستفادة منه لما امتاز به من سعة الاطلاع في العلم والرواية وطول الباع في اللغة وفنونها فأقبل عليه علماء الأندلس وأدباؤُها للاستفادة من محاضراته في اللغة والأدب التي كان يمليها من حفظه في أيام الأخمِسة بقرطبة وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة[3]، كما حدث بهذا القالي عن نفسه في مقدمة أماليه، فرددوا ذكره وشهدوا له بالتقدم والإجادة.

قال ابن الفَرضِى في "تاريخ علماء الأندلس" "فسمِع الناس منه وقرءوا عليه كتب اللغة والأخبار والأمالي وعظُمت استفادتُهم منه... الخ"[4].

وناهيك عن الأندلس في ذلك العصر الذى كان زاهياً بالعلوم والفنون، فقد كانت غاصه بالعلماء والأدباء والفقهاء وكبار الرجال والمفكرين وهم كثيرون في كل علم وفن.

---

(1) بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس – ص 217

(2) المصدر نفسه ص 218

(3) هذا المسجد بناه الخليفة عبد الرحمن الناصر في هذه المدينة العظيمة وسمّاها باسم جاريته "الزهراء" – الأمالي ج1 ص 3 – انظر نفخ الطيب ج2 ص 346

(4) تاريخ علماء الأندلس – لابن الفَرَضِى – طبع مدينة مجريط 1890م ص 65 – انظر الامالي ص 7

وممن روى عن القالي أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي النحـوي صـاحب كتاب "مختصر العين" "وأخبار النحويين" وكان حينئذٍ إماماً في الأدب ولكـن عـرف فضلَ أبى على فمال إليه واختص به واستفاد منه وأقر له.

ولقد أجمع المؤرخون على ذكاء أبى على النادر ونبوغه الفائق، وعدوه أحفظ أهل زمانه[1].

قال الضبي في كتابه "بغية الملتمس"[2] "كان أحفظ أهل زمانه للغة وأرواهـم للشعر وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين".

كما أن الزبيدي نفسه قد صنف أبا على القالي في الطبقة السابعة من اللغويين البصريين[3] ويعده من أصحاب ابن دريد كما يجعله في موضع آخر من كتابـه فـي الطبقة العاشرة من النحويين البصريين، ويذكر أنه من أصحاب ابن درستويه.

يضاف الى ذلك أن أكثر من ترجموا لأبي على في القديم أشاروا الى أنه كان "أعلم الناس بنحو البصريين". على أن أبا على نفسه لم يكن في مـصنفاته البـارزة نحوياً بقدر ما كان لغوياً يعتني بنوادر العربية وغريبها، ولغات العرب وأشـعارهم، ينم على ذلك كتاباه الكبيران: "الأمالي - والبارع"[4].

وإضافة إلى تقدير السلطة واحترامها لأبي على القالي نجـده ينـال إعجـاب الأندلسيين ويحظى بتقديرهم واستفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقلـه وقرؤوا عليه كتب الأخبار والأمالي وعظمت استفادتهم منه إلى أن توفى، وقـد ورد ذكر ذلك.

---

(1) تاريخ علماء الأندلس ص 65 ، 66

(2) بغية الملتمس ص 217

(3) طبقات النحويين واللغويين – لأبي بكر محمد حسن الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط2 – دار المعارف – مصر 1973م ص 132

(4) أبو على القالي ومنهجه في البحث والتأليف – ص 519

ولهذا وصفه ابن حيان بأنه "أعظم من وفد إلى الأندلس من العلماء" وعده ابن حزم أندلسياً وقال: "فمن هاجر إلينا من سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا وعلى هذا فإننا لا ندع إسماعيل بن القاسم"[1].

ومن هذا النص يتضح افتخار الأندلسيين بأبي على البغدادي وحرصهم علـى اعتباره واحداً منهم، مما يؤكد اعتزازهم به ومكانته العلمية العالية في نفوسهم.

---

[1] أبو على القالي وأثره بالفكر الأندلسي ص 234

المبحث الخامس:

ثقافة القالي:

معرفتنا بشيوخ القالي تتيح لنا أن نقف على طبيعة ثقافته ولون معارفه، ومنهجه في التأليف ومذهبه في اللغة. "وقد عرفنا أن معظم شيوخه في الموصل كانوا نحاة مشهوريين ومحدثين ومبرزين اتسموا بالطابع العربي الخالص وعرفوا بالضبط والإتقان"[1].

وأكثر من ترجموا لأبي على يشيرون إلى اقتداره في النحو فيصفه ياقوت "بأنه أعلم الناس بنحو البصريين"[2].

ويجعله القفطي في عداد أنباه النحاه ويقول عنه: "إنه قرأ على ابن درستوية كتاب سيبويه أجمع، وناظره فيه، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره وعلل العلة وأقام الحجة، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين... "[3].

ومع أن أبا على ألف في النحو كتباً مثل "المقصور والممدود" وكتاب "فعلت وأفعلت" فإن هذه البحوث كما يرى الباحثون تعد أقرب إلى علم الصرف منها إلى علم النحو، وطابعها لغوي أكثر منها نحوي. كما أن مثل هذه الكتب يقل في منزلته وأهميته عن سائر كتب القالي اللغوية وفى مقدمتها كتابه "الأمالي" ومعجمه "البارع" فنزعة أبي على اللغوية بارزة في هذين الكتابين وغالبة على ما عداها وعلى ذلك لا نعد أبا على في عداد النحاه على حين يتبوأ منزلة رفيعة بين اللغويين وأصحاب المعاجم في تراثنا العلمى [4].

ولعل أبا على في هذا الشأن أشبه ما يكون بالخليل بن أحمد الذى جعله بعض الذين ترجموا له في عداد النحويين البصريين دون اللغويين ومنهم أبو بكر الزبيدي

---

(1) أبو علي القالي ومنهجه في البحث والتأليف ص 522- 523

(2) معجم الأدباء – لياقوت الحموي – ص 31

(3) أبو على القالي ومنهجه في البحث والتأليف ص 523 – انظر أنباه الرواة على أنباه النحاة – للقطفي ج1 ص 205

(4) المرجع نفسه ، ص 523.

في طبقاته ، على حين عرف الخليل باللغة وكان له فيها "معجم العين" كما كان لأبى على معجم "البارع". على أن أبا على عرف لدى بعض القدماء بهذا الفضل وأنّه كان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متقناً لها[1].

وهكذا تكونت شخصية القالي على أنه إمام ثبت وحجة ثقة، وأنه راوية للغـة والأخبار في غاية التقييد والضبط وقد عرف فضلاً عن ذلك بسعة العلم وقوة الحفـظ وأنه كان يملي معارفه عن ظهر قلب.

وعليه يمكننا أن نحدد خصائص ثقافة القالي ونقسمها إلى: **ثقافة أصلية دينية، وثقافة عربية** فالثقافة الدينية تشمل القرآن والحديث وعلومهما، والفقه والفروع... وقد تلقاها القالي منذ تردده على الكتاتيب، والمساجد الصغيرة في مدينته الأولى "منَازجِرد" ثم أثناء توقفه القصير بالموصل، والتقائه بأبي يعلى الموصـلي صـاحب "المـسند"، وأخيراً على يد شيوخه الكبار ببغداد من أمثال أبي بكر السجستاني وأبى محمد يحيى بن صاعد، وابى القاسم البغوى، وأضرابهم...

وكانت هذه الجماعة من العلماء الذين جلس إليهم طويلاً، وهـي أشـهر مـن أخرجهم القرن الثالث وبداية القرن الرابع من الحفاظ والثقات المشهود لهم بالأمانـة والضبط – وهي الجماعة التي تكونت منها الطبقـة الثانيـة مـن فقهـاء الـشافعية والحنبلية[2] والذروة العالية من المحدثين والقراء والمفسرين.

أما الثقافة العربية فهي تشمل اللغة وآدابها من نحو، وأدب، وأخبـار، وسـير وأنساب وأيام العرب. تلقاها القالي على يد أكبر اللغويين والأدباء في عـصره، مـن أمثال ابن دريد وابن الأنباري والأخفش الصغير وابن السراج والزجاج ، ونفطويه... وهي الطبقة التي تخرج عليها كبار لغوي وأدباء القرن الرابع أمثال أبى على الفارسي

---

[1]أبو عليّ القالي ومنهجه في البحث والتأليف ص 523- انظر أنباه الرواة على أنباه النحاه ص 205

[2] أبو على القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، تأليف عبد العلي الودغيري، طبع بإشراف اللجنة المشتركة لإحياء التراث العربي والإسلامي – المغرب 1983م نقلاً عن الودغيري ص 86

وأبي سعيد السيرافي وابن خالويه، وأبى الفرج الأصـفهاني والآمـدى والمرزبـانى وآخرين... وكانت الكتب التى يدرسها هؤلاء ، هي كتب النحو البصري والكـوفي، وكتب الأمالي، واللغة ودواوين الشعر، والمنتخبات الجاهليـة والإسـلامية، وكتـب الأخبار والمغازي والأنساب، التي يرويها تلامذة الزبيـر بـن بكـار ، والواقـدي، والمدائني، وابن الكلبى... وغيرهم[1].

وقد وجد القالي في هذيين الاتجاهيين الثقافيين "الإسلامي والعربي" بشيوخهما، مجالاً واسعاً للتأثر، وقدوة حسنة للاتباع والتمثيل.

فقد استفاد من شيوخه في العلوم الدينية المنهج العلمى القويم، ونافـسهم فـي الحفظ والرواية والضبط والإتقان، وكان خير من يتقمص سلوكهم الأخلاقي. فقد كان نسخة لا تختلف في كثير عن شيخه أبي بكر بن أبي داؤد السجستاني، وهو أحد كبار الحفاظ المشهورين.

وكان لطول جلوس القالي مع هؤلاء العلماء تعود المنهج العلمي السليم، الـذي جعله يتقمص شخصية الراوية الناقل المحافظ على تراث الـسلف دون تحريـف ولا تبديل وهي الصفة الفاضلة التي شهدت له بها الأندلس قاطبة. على أنه إذا كانت رتبة "الدراية" والفهم أرفع مكاناً عند علماء الحديث من رتبة الحفظ "الرواية" وحده، فـان القالي لم يكن مشهوراً بغير الحفظ "الرواية" أو بعبارة أخرى لم يكن صاحب نظريات أو اجتهاد وفتوى في اللغة والأدب ، وهما موضوع تخصصه[2].

وروى ابن بسام أنه كان يقول عند المباحثة "أن علمى روايـة ولـيس بعلـم دراية، فخذوا عني ما نقلت..."[1] هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثـرة الروايات والأخذ عن الثقات، وقد أشرنا إلى هذا من قبل.

---

[1] أبو على القالي وأثرهُ في الدراسات ص 87
[2] المرجع نفسه ص 88
[1] الذخيرة ج1 ص 4

وقد تحدث السيوطي في "المزهر" عن وظائف الحفاظ والإملاء فقال "وظـائف الحفاظ في اللغة أربع، أحدها- وهي العليا – الإملاء. كمـا أن الحفـاظ مـن أهـل الحديث، أعظم وظائفهم الإملاء وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثيـر، فـأملى ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخم، وأملى ابن دريد مجالس كثيرة وأملى أبو محمد القاسم بن الانباري وولده أبو بكر ما لا يحصى، وأملى أبو على القالي خمسة مجلدات وغيرهم.. وطريقتهم في الإملاء كطريقة المحدثين سواء"[(2)].

لذلك نجد أن القالي متأثر بشيوخه الكبار أمثال السجـستاني، ولا يتـأثر فـي منهجه العلمي أبداً ببعض الشخصيات الضعيفة ممن روى وأخذ عنهم كـأبي سـعيد العدوي، الذي كان متهماً عند أقرانه، ومعروفاً بكذبه عند الجميع[(3)].

وإذا كان القالي قد تأثر في منهجه العلمي وسلوكه الأخلاقـي بـشيوخه فـي الحديث وعلماء السنة، واتخذ من أعلامهم وكبار حفاظهم المشهورين القدوة المثـى، فأنه أيضا تأثر كثيرا بشيوخه الآخرين في اللغة العربية وآدابها، مع العلم أن اللغة في ذلك العصر كانت تقتبس مناهج دراستها من المحدثين، إذ هي منـاهج فـي أعلـى مستوى من حيث السلامة والدقة والضبط. وهكذا فإنه بعد أن كـون لنفـسه قاعـدة وأساساً متينين في العلوم الدينية التي هي مدار العلوم الإسلامية، اتجه بعد ذلك الـى نوع من التخصص في اللغة العربية، فلم يحمل إلى الأندلس إلا ما كان مـن الكتـب متصلاً بهذا النوع من الثقافة، ولم تظهر مشيخته وإمامته إلا في هـذا الاتجـاه. وإن كانت استفادته من الثقافة الدينية واضحة كل الوضوح فيما نقرأ لـه مـن مؤلفـات، ولاسيما في أماليه التي كان يفتتح مجالسها في الغالب بقراءة حديث شـريف أو آيـة

(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها:جلال الدين السيوطي – نشر محمد احمد جاد المولى – مصر – بدون تاريخ ج1 ص 313
(3) أبو على القالي وأثره ص 89

كريمة، ومنها ينطلق إلى الشروح اللغوية والنصوص الشعرية والأمثـال والأخبـار وغيرها. وهي الطريقة نفسها التي كان يتبعها أساتذته في بغداد[1].

وقد كان شيوخه في هذا الاتجاه أيضاً، من العلماء الكبار الذين امتازوا بكثـرة الحفظ واتساع الرواية.

وكان لهم الفضل في توجيهه لدراسة أمهات المصادر والدواوين، وتكوين ذوقه الأدبى الذى هو ذوق العلماء الدارسين للتراث، والمحافظين على أخبار السلف وقـد تابع القالي خطواتهم التى ساروا عليها في تآليفهم، فأملى النوادر مثلما أملوا وكتب فى الخيل والإنسان والإبل... مثلما كتبوا، وشرح المعلقات، والشعر القديم، مثلما كـانوا يفعلون، إذن فقد كان القالي امتداداً للحركة اللغوية والأدبية التـي أوجـدها أسـاتذته ببغداد. وكان ابن دريد وابن الأنباري أكثر هذه الشخصيات فيه تأثيراً.

بجانب ثقافته الدينية واللغوية لابد من الإشارة إلى ثقافته الأخبارية، فلم يكـن القالي مجرد حافظ للغة والأدب والعلوم الدينية، ولا مجرد راوٍ للقصص التاريخيـة، الصحيح منها والموضوع، بل كان أيضا على علم تام بتراجم رجال اللغـة والنحـو وسائر أحوالهم وتقلباتهم. ويرجع الفضل لتلميذه الزبيدي في احتفاظه بطائفة صـالحة منها، لا نجدها عند غيره. فاستغلها ، وجعلها مصدره الأساسي فيما قدمه من تـراجم لطبقات اللغويين والنحويين والكوفيين. فالناظر في طبقات الزبيدي[2]، وهو يطالع اسم القالي في أغلب صفحاته، تجتمع له عن صاحبنا صورة جديـدة طريفـة، مغـايرة لشخصيته في سائر مؤلفاته التي وصلتنا[1]، فهو هنا مؤرخ حـافظ عـارف بأخبـار النحويين واللغويين على الخصوص.

[1] أبو على القالي وأثره – ص 89
[2] طبقات النحويين واللغويين - للزبيدي ص 121
[1] أبو على القالي وأثره – ص 90

قد حكى أخباراً عن الكسائي، وسيبويه، وثعلب، والمبرد، والرياشي، ويـونس بن حبيب، والمازني، والأصمعي، ابن السكيت... وغيرهم من أصـحاب الطبقـات الأولى والذين كان بينه وبينهم حاجز زمني غير بعيد.

المبحث السادس :
تلاميذه :

عندما رحل القالي البغدادي عن بغداد وهو يناهز الأربعين، لم يتح له أن يترك أثراً كبيراً في تلاميذه هناك . على أن الحال على خلاف ذلك في الأندلس حيث ذاع فضله وكثر قاصدوه، ولعل الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي كان في طليعة الذين أفادوا من علمه. وأبرز من تَلْمذُوا على يد أبي علي إطلاقاً أبو بكر الزبيدي الإشبيلي، وهو لغوي كبير اشتهر بكتابيه "مختصر العين"[1] و"طبقات النحويين واللغويين" الذى سبقت الإشارة إليه .

كما لازم الزبيدي أبا على في قرطبة وهذه الملازمة شبيهة بملازمة أبي على لابن دريد في بغداد "[2].

وفي مؤلفات الزبيدي جانب كبير مما أخذه عن شيخه وكان يجله إجلال أبى علي لابن دريد وفيه يقول[3]: "ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألّف مثله".

ومن النابهين الذين أخذوا عن أبي علي أحمد بن أبان اللغوي، ويذكر السيوطي أنه صنف كتاباً اسمه "العالم في اللغة" ويقع في مئة مجلد وقد رتبه على الأجناس وأغلب الظن أن هذا الكتاب حصيلة تأثر ابن أبان بالقالي في نزعته اللغوية، ولعل صاحب كتاب "العالم في اللغة" كان يضع نصب عينيه كتاب "البارع في اللغة " لأبي علي ويحرص على مباراته في مادته وحجمه"[4].

إذن فقد تَلْمذَ على يديه طلبة العلم والمعرفة ، والمتتبع لكتب التراجم الأندلسية، يجد صدى واسعاً للجهود التى بذلها أبو علي القالي البغدادي ، متمثلة بالأعداد الكبيرة من الطلاب الذين سمعوا منه أو كتبوا عنه فحدثوا بما سمعوا أو كتبوا عنه ، وفى الكتب التي ألفها ، أو التي أدخلها الأندلس وقام بتدريسها أو في مجال الحركة الفكرية التي وجدت بالأندلس تدريساً وتأليفاً فيما بعد على غرار ما كتب أو أدخل من كتب .

---

(1) مختصر العين لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي – تحقيق علال الفاسي – الدار البيضاء – 1963م
(2) أبو علي ومنهجه في البحث والتأليف – ص 521
(3) المرجع نفسه – ص 522 –انظر معجم الأدباء ج7 ص 31
(4) المرجع نفسه

وفي هذا المجال لا يستطيع الباحث أن يذكر أو يحصي كل من سمع من أبي علي البغدادي أو كتب أو حدث أو روى أو قرأ أو أجاز له ، وذلك لكثرتهم ، ولكن يمكن ذكر أبرز من أشتهر بمصاحبته منهم: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي (ت 379هـ) وكان حينئذ أماماً في الأدب ولكنه عرف فضل أبي على فمال إلية واختص به واستفاد منه وقرأ له .

- عبد ا بن أصبع المعروف بابن الضباع (ت 373هـ) روى عنه كثيراً من كتب اللغة وكان ضابطاً حسن النقل معدوداً في ثقات أصحاب البغدادي

– محمد بن إبراهيم ين عبد الرحمن بن معاوية المنذر القرشي (ت 373هـ) أخذ عن أبي علي البغدادي ، وقد غلب عليه علم اللغة .

- أبو أيوب سليمان بن خلف ين سليمان (ت 408هـ) روى عن أبي علي وسمع علية كتاب "النوادر" من تأليفه[1].

- أبو نصر هارون بن موسى بن صالح من أهل قرطبة سمع عن أبي علي وكان حريصاً على حضور مجالسه.

- يوسف بن هارون الرمادى الشاعر (ت 403هـ) الذي مدحه بقصيدة وروى عنه كتابه "النوادر" من تأليفه.

- يوسف ين فضالة الأديب ويكنى أبا الحجاج

- عبد ا بن حمود بن عبد ا من مذجح الزبيدي

- أبو القاسم أحمد أبان بن سيد

- أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب

-أبو محمد عبد ا بن ربيع بن عبد ا التميمي .

وأخيراً فإن المتصفح لكتاب أبن خير الاشبيلي . يجد عشرات الأسماء من العلماء الذين تلمذوا على أبي علي وروا عنه[1].

---

[1] أبو على القالي وأثرهُ – ص 235

[1] أبو على القالي وأثره ُ– ص 236-237

وكان الآخذون عن أبي علي أندلسيين كلهم إذ لم يؤخذ عنه ببغداد قبل سفره إلى المغرب ،وقد أورد ياقوت أسماء بعض الآخذين عنه .

ولكن اثنين اختصا بصحبته أول مقدمه اختصاصاً زائداً ، فارتفع بهما قدره، إذ كان كل منهما ، عند مقدم القالي ، في الذروة من العلم.

أحدهما : القاضي منذر بن سعيد البلوطي وكان قد رحل إلى المشرق وروى كتاب " العين" عن ابن ولاد وجالس أبا علي القالي عند بعض شيوخ العلم و وتساجل معه الآداب ، وتطارحا العلوم.

والثاني : هو أبو بكر الزبيدي وكان حينئذٍ إماماً في الأدب ولكن عرف فضل أبي علي فمال إليه واختص به واستفاد منه وأقر له ، حتى أصبح القيم على علمه والمرجع للرواية عنه[2].

[2] نفح الطيب – ج1 ص 271

المبحث السابع :
مؤلفاته :

قبل البدء في ذكر مؤلفات أبي علي نذكر كلمة لابن بسام يعلم القارئ منها أنها بحق لم يجارِه في تأليفها أحد ، وأنها أعجزت من بعده، وفاق بها من تقدمه:

قال ابن بسام في الذّخيرة[1] في ترجمة صاعِد :"وفد على المنصور [بن أبي عامر] نَجماً من المشرق غرب ، ولسانا عن العرب أعرب ، وأراد المنصور أن يعفّى به آثار أبي علي القالي ، فألفْى سيفه كهاما[2] ، وسحابه جهاما[3]، من رجل يتكلّم بِملء فيه ، ولا يوثق بكلّ ما يذَره ولا ما يأتيه[4].

أما مؤلفاته القيمة وكتبه النفيسة ، فقد ذكرها ياقوت في معجمه[5] قال :"وانقطع بالأندلس بقيه عمره وهناك أملى كتبه ، أكثرها عن ظهر قلب ، منها :-

1- كتاب "الأمالى"[6] معروف بيد الناس ، كثير الفوائد ، غاية في معناه ، قال أبو محمد بن حزم : كتاب نوادر أبي علي مبارٍ لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخَبرا ، فإن كتاب أبي علي أكثر لغةً وشعراً.

2-كتاب "الممدود والمقصور" رتّبه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق ، مستَقْصي في بابه لا يشِذّ منه شئ في معناه ، لم يوضع مثله ويقع في عشرة أجزاء.

3- كتاب "الإبل" ونَتَاجها وما تصرف معها في خمسة أجزاء.

4- كتاب حلى الإنسان والخيل وشِياتها

5-كتاب فَعلْت وأفْعلْت وقد جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج.

6-كتاب مقاتِل الفُرسان. 7-كتاب تفسير السبع الطوال

8-كتاب البارع في اللغة على حروف المعجم، جمع فيه كُتُب اللغة، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة.

---

(1) يوجد جزءان مخطوطان من الذخيرة في شعراء الجزيرة بدار الكتب المصرية راجع: الأمالي – لأبي على القالي – ج1 ص\9، 10

(2) كهام: لم يقطع

(3) جهام: لا ماء فيه

(4) الأمالي ص 10 : راجع نفح الطيب ج2 ص 52

(5) معجم الأدباء لياقوت ج2 ص 352

(6) الأمالي – المجلد الأول – ص 11

قال الزبيدي [1]: "ولا نعلم أحدا من المتقدمين ألّف مثله، قرأت بخط أبي بكر محمد بن طَرخان بن الحكم: قال الشيخ الإمام أبو محمد العربي: كتاب البارع لأبي علي الغالي يحتوي على مائة مجلّد، لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب، إلى كتب كثيرة ارتجلها وأملاها عن ظهر قلْب كلّها"[2].. كما ينسب إليه أيضاً شرح ديوان ذي الرمة. ولكن أكثر المصادر لا تشير إلى ذلك.

وقد ذكرت بعض المصادر أن أبا علي قد ألف كتباً عديدة ما زال بعضها بعيداً عن متناول الأيدي بعد أن عبثت به الأيام. فكانت كتبه غاية في التقييد والضبط والإتقان، وقد ألف في علمه تآليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته.

لم ينحصر أثر القالي بالكتب التي ألفها والمحاضرات التي ألقاها مما يحفظ على طلابه. وإنما يبرز هذا الأثر في مجال آخر يتمثل في المؤلفات العلمية التي حملها معه من بغداد وأدخلها إلى الأندلس وسمعها منه أو قرأها عليه جملة كبيرة من طلابه الأندلسيين. وقد ذكر لنا ابن خير الإشبيلي هذه المؤلفات بقائمتين الأولى وعنوانها "تسمية كتب الشعر وأسماء الشعراء التي وصل بها أبو علي البغدادي إلى الأندلس، أما القائمة الثانية فقد ذكرها ابن خير الإشبيلي وعنوانها "ما جلبه أبو علي البغدادي من الأخبار"[3].

والواضح أن هذه المؤلفات والكتب التي سمعها أو قرأها على شيوخه في بغداد أو التي اشتراها وحملها معه إلى الأندلس، كانت كثيرة جداً بخلاف أنها ليست كل ما جلبه معه من بغداد، إذ فُقد بعضها في القيروان... فكم تحمل البغدادي من عناء حتى تمكن من إيصال هذه المجموعات والكتب إلى الأندلس في وقتٍ لم يكن السفر فيه ميسوراً ؟ غير أن القالي كان عالماً وافداً من أجل العلم يدرك قيمة الكتب فيهون في سبيلها أي جهد أو مشقة يبذلها[1].

---

[1] طبقات النحويين واللغويين – ص 135

[2] الأمالي ج1 ص 11

[3] أبو علي القالي وأثره في الفكر الأندلسي ص 245

[1] أبو على القالي وأثره بالفكر الأندلسي ص 245

آثار أخرى للقالي البغدادي:

لم تنحصر أثار البغدادي بما ذكرناه، وإنما صار محوراً لنشاط أدبي فكري شهدته الأندلس فيما بعد ويمكن اجمالها فيما يأتي:

1. عناية المؤرخين الأندلسيين بابي علي البغدادي فأوردوا له ترجمة وافية في كتبهم وأشادوا بشخصيته العلمية وذكروا مؤلفاته ونسبه وشيوخه وطلابه وما إلى ذلك[2].
2. ألف أبو محمد الفهري أحد طلابه، كتاباً خاصاً عن أبي علي القالي تحدث فيه عن نسبه ورواياته ودخوله الأندلس.
3. ألف بعض الأندلسيين كتب على غرار ما كتب البغدادي مثل كتاب سراج الأدب لأبي عبد ا   بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الأندلس صنفه على منزع كتاب "النوادر" لأبي علي.
4. ولأبي عبيد البكري (عبد ا   بن عبد العزيز بن محمد البكري الوزير، (432هـ-1040م) وهو من أعيان أهل الأندلس وأكابرهم سكن قرطبة)[3] كتاباً بعنوان: "التنبيه على أوهام أبي على البغدادي في كتاب النوادر".
5. قام بعض الأندلسيين بشرح كتاب النوادر لأبي علي، منهم أبو عبيد البكري وكتابه "اللآلي في شرح الأمالي" الذي وصفه المِقري بأنه كتاب مفيد في الأدب. وهو كتاب مطبوع، وممن شرحه أيضا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بالأعلم.
6. قام بعض الأندلسيين باختصار كتاب النوادر منهم أحمد بن عبد المؤمن القيسي من أهل شريش (ت 619هـ).
7. أما أحمد بن عبد الجليل المعروف بالتدميري (ت 555هـ)، من أهل المرية، سكن مدينة بجاية ألف بها لمحمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر كتاباً

(2) المرجع السابق نفسه ص 246

(3) الأمالي – المجلد الثاني ص 290 – كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه – للأمام اللغوي أبي عبيد البكري – دار الكتب المصرية 1926م

سماه "نظم القرطين وضم أشعار السقطين" جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لابي علي البغدادي.

8. ويبدو أن كتاب الأمالي (النوادر) أشهر كتب البغدادي، قد نال شهرة واسعة بالأندلس فلم يقف الأمر عند شرحه أو اختصاره أو التأليف على غراره أو التعليق عليه، بل إن بعضهم كان يحفظه عن ظهر قلب.

9. حظي كتاب "البارع" من كتب أبي علي البغدادي، هو الآخر، باهتمام الأندلسيين فأخرجوه من مسوداته، وقفوا على ما فيه من الزيادة على النسخة المجتمع عليها من "كتاب العين" فبلغ ذلك خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة.

وفي العموم فإن كتب القالي كانت معتمدة في حلقات التدريس بالأندلس، يرويها الشيوخ أو يقرأها الطلاب عليهم، ويتجلى هذا بوضوح من خلال الاطلاع على سلاسل الرواة لمؤلفات البغدادي التي أوردها ابن خَير الاشبيلي على مدى قرنين وربع من الزمن، وهي الحقبة الواقعة بين وفاة البغدادي 356هـ، وفاة ابن خير الاشبيلي سنة 575هـ.

وعليه فقد اعتبرت كتب القالي وعلى رأسها الأمالي أصولاً من أصول الأدب واللغة وخاصة الأمالي الذي اعتمد عليه الأدباء في العصور المختلفة إلى الآن ، "وقد كان النواة الأدبية الأولى التى بذرها أبو علي في بلاد الأندلس من علوم المشرق فنمت وأثمرت ونضجت وآتت أكلها، وقد كانت أماليه المدرسة التي تخرج عليها شهود مشهوري الأدباء الأندلس ولقيت منهم من العناية ما هى جديرة بها. وكان للأمالي طابع خاص غير الطابع الذي غلب على أمثالها من كتب الأدب الأخرى. وقد غلب على كتب القالي الناحية الأدبية واللغوية أكثر من غلبة النحو، فثقافته ثقافة عربية لغوية".

"وكتابه الأمالي يتميز بأنه يروى فيه كثيراً من القصص العربية الأدبية ، وهي نزعة أتت له من ابن دريد. فقد كان على ما يظهر محباً لهذا النوع من القصص

اللطيف فمختاراته ليست جافة جفاف "الكامل" ولا أدباً بحتاً كأدب "الكامل"[1] إنما هو أدب فرش له فرش جميل وأعد له إعداداً أنيقاً قلّ أن يتعرض فيه للنحو والصرف كما يفعل المبرد ولا للاستطراد الخفيف كما كان يفعل الجاحظ فإنما خفة روح الأمالي من نمط آخر غير نمط البيان والتبيين نمط من التاريخ والقصص والأساطير أحياناً ممزوجة بالأدب، ثم تفسير لما ورد فيها من غريب اللغة"[2].

وقد يتساءل الباحث عن المكان الذي ألف فيه أبو علي كتبه هذه نسبة لأن حياته انشطرت بين المشرق والأندلس."ومن الثابت أن أهم كتبه وأكبرها إنما ألفه في الطور الثاني من حياته بعد مهاجرته إلى العراق ونعنى بذلك كتابيه "الأمالي" "البارع" وهذا ما تؤكده مقدمة المؤلف لأماليه، وما تجمع عليه كتب الأدب والتراجم بالنسبة إلى كتاب البارع. على أننا لا نملك مثل هذا اليقين بالنسبة إلى سائر مؤلفات أبي علي، وإن كنا نرجح أن معظمها من نتاجه في الأندلس. حيث نعم هنالك المؤلف بحياة الاطمئنان والاستقرار، وحين بلغ سنه الأربعين وطور الفيض والعطاء... أخذت كتب القالي تصدر تباعاً. حتى إننا نجده يمضي في تأليف كتابيه: الأمالي والبارع في وقت واحد وهما من أكبر كتبه إن لم يكونا أكبرها"[3].

---

[1] اللآلي في شرح أمالي القالي –لأبى عبيد البكري الأندلسي تحقيق: عبد العزيز الميمني – القاهرة 1936م ص 198

[2] المرجع نفسه ص 290

[3] رائد التأليف المعجمي في الأندلس أبو علي القالي - عمر الدقاق – المصدر التراث العربي 1403هـ - ص 132

الباب الأول

الفصل الثاني

كتاب الأمالي (عرض وتحليل)

المبحث اسم الكتاب.

الأول:

المبحث منزلة أمالي القالي.

الثاني

المبحث تاريخ تأليفه.

الثالث:

المبحث نشر الأمالي.

الرابع:

المبحث محتوى الأمالي ومنهج القالي فيه.

الخامس:

المبحث بين الأمالي والكامل للمبرد.

السادس:

المبحث شخصية القالي في آماليه.

المبحث السابع: اثر الأمالي في الدراسات الأدبية واللغوية بالأندلس.

المبحث الثامن: الدراسات والشروح التي قامت حوله بالأندلس.

المبحث التاسع: خصائص كتاب الأمالي.

المبحث العاشر:

المبحث الأول

اسم الكتاب:

كتاب الأمالي:

إن كتاب الأمالي هو من أمهات كُتُب الأدب العربي المعدودة، نجد أئمة اللغة والأدب ينْظِمون في كتبهم من درره، ويغْتَرفون من بحره، وهو تأليف جزيل الفائدة، جم النفع لمن يريد التعمق في علم اللغة... قال أبو علي في مقدمة هذا الكتاب[1]: (لما رأيتُ العِلْم أنْفَس بضاعة، أيقنَتُ أن طلبه أفضلُ تجارة، فاغتربتُ للرواية، ولزمتُ العلماء للدراية، ثم أعملتُ نفسى في جمعه، وشَغَلتُ ذهني بحفظه، حتى حويتُ خطِيره وأحرزتُ رقَيعه، ورويتُ جليله، وعرفتُ دقيقَه، وعقلْتُ شارده، ورويتُ نادره، وعلمتُ غامضه، ووعيتُ واضحه... فأملْتُ هذا الكتاب من حفظي في الأخْمِسة بقْرطُبة، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة، وأودعتُه فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار، وأنواعاً من الأمثال، وغرائب من اللغاتِ، على أنّي لم أذْكر فيه بابا من اللغة إلا أشبعتُه ولا ضربا من اشعر الا اخترته، ولا فَنّاً من الخبر إلا انْتَخَلْته، ولا نَوعا من المعاني والمثل إلا أستجدتُه...الخ)[2].

كتب الأمالي:

الأمالي جمع إملاء على غير قياس، أو إنها جمع ُأملية كأُغنية وأُحجية وأُمسية[3].

فالذي يلقى على الطلاب ليكتبوه هو "إملاء" أو هو "إملال" تقول: أملى عليهم الأستاذ قصيدة يمليها إملاء. ولك أن تقول أملّ عليهم يمِلّ إملالا وهذه كلمة "أملات أمِل إملالا" لغة الحجازيين وبني أسد، وبها جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة: (فَلْيكْتُب ولْيملِل الذِي علَيهِ الْحق ولْيتق اللّه ربه ولاَ يبخَس مِنْه شَيئاً فَإِن كَان الذِي علَيهِ الْحق سفِيهاً أَو ضعِيفاً أَو لاَ يستَطِيع أَن يمِل هو فَلْيملِلْ ولِيه بِالْعدل)[1].

---

(1) الأمالي – المجلد الأول – ص 16، 17

(2) المصدر نفسه

(3) لسان العرب – لابن منظور – دار صادر بيروت المجلد الرابع ص 87

(1) سورة البقرة – الآية 282

وكلمة "أملى يملي إملاء" هي لغة بني تميم وقيس، وبها أيضا جاء في القرآن في سورة الفرقان[2] (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً).

والتلميذُ يستمِلى أستاذه، نعني بذلك أنه يسأله أن يملي عليه، ومن هذا قالوا للذي يطلب إملاء الحديث من شيخ إنه "المستملى".

والأمالي كما يقول صاحب "كشف الظنون"[3] جمع الإملاء وفسرها بقوله: "وهو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه (تلامذته) بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح ا سبحانه وتعالى عليه من العلم ويكتبه (التلامذة) التلاميذ فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالي وكذلك كان السلف من علماء الشافعية والفقهاء والمحدثين وأهل العربية"[4].

ويبدو أن الإملاء وجمعه مثل الإعراب فى النحو وجمعه أعاريب. وأعاريب أيضا جمع أعراب التى هي قد تكون جمع أعرابي. وإملاء "مصدر" ولكنه لما صار اسما جاز جمعه، ومثله إحساس وأحاسيس. وعلى وزنه إعصار وأعاصير. على أن أفاعيل تكون جمعا لمثل أفعول، كأسطول وأساطيل، وإفعيل مثل إبريق وأباريق، واكثر ما تأتي أفاعيل جما لأفعولة مثل أسطورة وأساطير وأرجوزة وأراجيز وأنشوده وأناشيد. وأثفية وأثافي وأغُنية وأغاني وأحجية وأحاجي. ولك أن تخفف مثل الأغاني والأحاجي والأثافي والأمالي فتقول الأغاني والأحاجي..."[5].

أما كتب الأمالي فقد أوردها "حاجي خليفة" صاحب "كشف الظنون"[6] ونذكر منها:

- أمالي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفي (ت 182هـ) وهي فى الفقه
- أمالي ابن دريد في العربية (لغة)
- أمالي ابن الشّجري (ت 572هـ) أملاه في أربعة وثمانين مجلساً

---

(2) الفرقان – الآية 5

(3) أبو علي ومنهجه في البحث ص 528 وانظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة طبعة حلب 1941م ج1 ص 161

(4) المرجع السابق نفسه

(5) لسان العرب –مادة أمالي ص 89

(6) كشف الظنون – ص 161

- أمالي السهيلي فى النحو وهو أندلسي وهو من المتقدمين
- أمالي ابن حجر (ت 852هـ) واكثرها حديث
- أمالي الزجاجي فى النحو
- أمالي ابن الحاجب أبي عمرو عثمان بن عمر النحوي (ت 672هـ) وهي تفسير بعض الآيات وفوائد شتى عن النحو.

ومما هو مطبوع ويتداوله الناس الآن:

- أمالي اليزيدي
- أمالي القالي ، وأمالي الشريف المرتضى المسماة "غرر الفوائد ودرر القلائد"، وهناك مجالس ثعلب. والنوادر لأبي زيد ولأبي مسحل... وغيرهما[1].

لكن المتعارف عليه عند الأدباء عند اطلاق كلمة "الأمالي" هو ما ألفه القالي على إننا لا نعرف متى عرفت تسمية الكتب بالأمالي واختيرت لمصنفات بعينها، ولكن الراجح أن كتب الفقه والحديث كانت أسبق من سواها في هذا الصدد. فقد ألف كتاباً في الفقه يحمل اسم (الأمالي) لأبي عبد ا محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة (187هـ) وهو صاحب أبي حنيفة[2].

وهذا يدل على أن التسمية عرفت منذ القرن الثاني، ثم شاعت خلال القرنين الثالث والرابع. ولعل أول كتاب بارز في اللغة والنحو والأدب من هذه الزمرة كتاب "مجالس ثعلب" من رجال القرن الثالث ويبقى كتاب ثعلب هذا إلى جانب أمالي القالي وأمالي ابن الشجري أشهر كتب الأمالي في هذا الموضوع.

فالأمالي كل ما يمليه شيخ على طلابه في العلوم والمعارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغةٍ وأدب. وهي تطابق في مدلولها كلمة المحاضرة في العصر الحديث، بل إن المحاضرة بهذا المعنى اصطلاح قديم إلا أنه لم يشتهر اشتهار

---

[1] أبو على القالي ومنهجه في البحث والتأليف – ص 529

[2] طبع الكتاب في حيدر اباد سنة 1360هـ - ويقع في نيف وسبعين صفحة انظر كشف الظنون ص 162

الإملاء[1]. فقد ذكر أبو منصور الأزهري أن الأصمعي كان أملى ببغداد كتابا في النوادر، فزيد عليه ما ليس من كلامه، فأنكر ذلك وقال "خير العلم ما حاضرت به"[2].

وإذا كان ثمة فارق بين الأمالي وبين المحاضرات فهو أن الأمالي تُملى في الغالب من الذاكرة وتلقى إلقاء مرتجلاً عن ظهر قلب على حين تتلى المحاضرة من أوراق أعدت من قبل[3].

وبعبارة أخرى أن المحاضرة صورة جديدة مطورة للإملاء تتسم بالتركيز ووحدة الموضوع. وكثيراً ما كان يستعاض عن كلمة أملية أو إملاء بكلمة "مجالس" ثمة كتب عديدة تحمل هذا الاسم أشهرها "مجالس ثعلب" والتي سبق ذكرها وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب، والتداخل بين هذين الاصطلاحين أيضاً شائع. ففي أمالي القالي مثلاً نجد مادة الكتاب مقسمة إلى مجالس، وواضح أن المراد بكلمة المجالس ما يلقى في جلسة واحدة ولعله يشبه الفصل أو الباب[4].

ومن هنا وتبعاً للمدلول الواسع لكلمة الأمالي كثرت الكتب التي تحمل هذا الاسم كثرة بالغة في تراثنا العربي على صعيد اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير...الخ.

"وفي كتب التراجم والفنون مثل فهرست ابن النديم وفهرست ابن خير وكشف الظنون وسواها مصنفات لا تكاد تحصى وتحمل جميعاً كلمة الأمالي عنواناً لها"[5].

وقد تختلف الأمالي باختلاف المملين: (طريقة الأمالي) وقد نلاحظ أن ما يملى يختلف باختلاف العالم المملى، وتبعاً لميله وما برع فيه. "ويغلب في الأمالي أن يبدأ الأستاذ الدرس بآية من القرآن، أو بحديث، أو بالمأثور من الشعر أو النثر، ثم يتلو ذلك شرح ما أملى، متناولاً اختلاف الإعراب إن كان نحوياً، ويستطرد في الأمثلة والشواهد، أو متناولاً ما في ذلك من لغة إن كان لغوياً، فيشرح الألفاظ وما يتصرف

---

(1) أبو علي ومنهجه في البحث والتأليف – ص 527

(2) المرجع نفسه:وانظر تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهري – ص 52

(3) المرجع نفسه

(4) المرجع نفسه

(5) المرجع نفسه

مِنها ومعانيها، محتجاً لذلك بمأثور عن العرب وأقوال الأئمة السابقين، ويحاول أن يأتي بالطريف الظريف، كما أن الأمالي لا تغلب ولا تطغى ولا تخلو من مأثور الخطب، ولطيف الحكم والأمثال، وجزل التعابير. يتخلل كل هذا قصار الحكايات والأقاصيص وبعض الفكاهات"[1].

وفى الأزمان السابقة، حين لم تكن مطابع، ولا توجد آلات الكتابة ومتطلباتها إلا بمشقة، أنعم ا على أولئك السابقين بصفاء الأذهان، وقوة الحافظة وقلة المشاغل والتوجه إلى العلم رغبة في العلم، وعملا بما نصحوا به من أن العلم يرفع دوراً لا عماد لها.

---

(1) أبو علي القالي ومنهجه في البحث – ص 529

المبحث الثاني:
منزلة أمالي القالي:

أما كتاب الأمالي لأبي على القالي البغدادي فهو أشهر كتبه، وبه عرف في مضمار التأليف. ولعله أشهر كتب الأمالي قاطبة. وكثيراً ما يطلق على أمالي القالي اسم (النوادر). ولعل هذه التسمية من قبيل إطلاق الجزء على الكل. فالمعروف أن جزءاً من الكتاب يلي الأمالي كان مؤلفه قد ألحقه به وأسماه (النوادر). كما أن الكتاب نفسه يعرف أيضاً باسم آخر هو "النوادر والأمالي"[1].

ولكتاب الأمالي منزلة رفيعة في تراثنا العريق، فالقالي يقول في مقدمة كتابه الأمالي مبيناً جهده في التحصيل: "فإني لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة...الخ"[2].

وقد عرف القدماء فضل الأمالي وقدموه يقول ابن خلدون في مقدمته: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم: أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها"[3].

وقد حظي كتاب الأمالي بشهرة واسعة في الأندلس وكان له صدى بعيد في محافلها الأدبية، لأنه أول كتاب من نوعه ألف في تلك الربوع، وغدا عمدة في موضوعه ونموذجاً يحتذى في غزارة المادة وغنى النصوص وإتقان الرواية ودقة الضبط ، يضاف إلى ذلك ما أصاب أبا علي نفسه مؤلف الكتاب من حفاوة بالغة في إثر وصوله إلى الأندلس وخروج جمع حاشد من العلماء وجلة القوم لاستقباله، وعلى رأسهم الأمير الحكم نيابة عن أبيه الخليفة الناصر. وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند حديثنا عن قدومه للأندلس.

---

[1] أبو على القالي ومنهجه – ص 529 انظر: انباه الرواة ج1 ص 205
[2] الأمالي ج1 ص 16، 17
[3] مقدمة ابن خلدون – تحقيق على عبد الواحد وافى – مطبعة القاهرة 1962م، الطبعة الأولى الجزء الأول ص 265

وكان من أصداء هذه الشهرة أن أبا عبيد البكري الأندلسي[1] نشط لشرح الأمالي وتفسير نوادره في كتابين يحمل احدهما اسم "اللآلي في شرح أمالي القالي"[2]، والثاني "التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه"[3].

وعلى الرغم مما يوحى به عنوان الكتاب الثاني من تحامل ومن حرص لدى البكري على تتبع إسقاطاته فإن هذه التعليقات زادت شهرة الكتاب استفاضة وإن تصدي البكري للأمالي ينطوي في الوقت نفسه على إقرار بأهمية الكتاب وجلال شأنه. كما أن أحمد بن عبد المؤمن الشريشي المتوفي سنة (519هـ) عمد إلى اختصار أمالي القالي. ومن جهة أخرى حرص بعضهم على احتذاء كتاب الأمالي والنسج على منواله. كما فعل اللغوي الوافد على الأندلس أبو العلاء صاعد بن الحسن الذي ألف للخليفة الأموي المنصور كتاب (النصوص) على نحو كتاب "النوادر" لأبي علي القالي"[4].

وكان أبو علي القالي قد أملى كتابه من حفظه في الأخمسة بقرطبة بالمسجد الجامع بالزهراء المباركة، ثم أهدى أماليه إلى الخليفة الحكم وأشاد بفضله في خطبة كتابه[5].

---

(1) وهو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري – عالم في اللغة والشعر والأخبار سكن قرطبة وتوفى سنة 487هـ الأمالي ج1 ص16، 17

(2) طبع في القاهرة سنة 1936م بتحقيق من قبل عبد العزيز الميمني – والكتاب يزيد في حجمه على كتاب الأمالي نفسه

(3) عمل على نشره الأب انطوان صالحاني وظهر في أربعة أجزاء – بدار الكتب المصرية سنة 1926م بروكلمان – تاريخ الأدب العربي بروكلمان الجزء الثاني ص 279

(4) أبو علي القالي ومنهجه – ص 531

(5) الأمالي ج1 ص 5

المبحث الثالث:

تاريخ تأليفه:

إننا وإن كنا لا نعرف على وجه التحديد تاريخ تأليف الكتاب فإن هناك أمرين على الأقل نستطيع بهما تقدير هذا التاريخ تقديراً تقريبياً.

- أولهما: ما ذكره القالي في مقدمة الكتاب من حاوله في فناء أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر وولي عهده الحكم وإنه كان يمليه من حفظه في الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء ومنه نعلم أنه كتاب أندلسي الوضع أُلف في حياة الناصر وقبل أن يتولى "الحكم" الخلافة أي ما بين سنتي (330-350هـ)[1].

- ثانيهما: أن القالي يحيل في أماليه على كتاب المقصور والممدود[2] والذي ألف في حياة الناصر والحكم ما يزال ولي عهده، وبذلك يمكننا أن نقول أن الأمالي أُلف بعد الفراغ من تأليف (المقصور والممدود) وخلال الفترة المذكورة ولاسيما أن مدة إملائه استغرقت وقتاً طويلاً.

موضوعه – وطريقة تأليفه:

حين تهيأ للقالي من الحفاوة البالغة، والنعمة السابقة، من يدى خليفة الأندلس العظيم وولي عهده المحب للعلوم ما أطلق لسانه مديحاً وملأه ثقة واطمئنانا بعلمه ومكانته، دعي إلى جامع الزهراء – وهو جامع قصر الخلافه الحديث العهد بالبناء- فاعتلى فيه أرفع مكان، واجتمع له من (بني الملوك) وغيرهم من أهل قرطبة ما اكتظ به مجلسه، ، فأخذ يملي من محفوظه، وينشر من مخبؤ علمه هذا الكتاب، ولسنا نجد كلاماً نوجز به وصف مضمونه ومواضيعه، أحسن مما ذكره القالي نفسه حين قال في المقدمة – سالفة الذكر - "وأودعتُه فنونا من الأخبار وضروباً من الأشعار، وأنواعا من الأمثال...الخ"[3].

---

(1) أبو علي القالي وأثرهُ ص 219

(2) الأمالي – ج2 ص 176

(3) المصدر نقسه – ص 16، 17

ويقول: "على أننى أوردتُ فيه من الإبدال ما لم يورد أحد وفَسرت فيه من الإتْباع ما لم يفسره بشر، ليكون الكتاب الذي استَنْبطه إحسان الخليفة جامعاً، والديوان الذي ذُكِر فيه اسم الإمام كاملاً"[1].

وعلينا بعد ذلك أن نتصور الشيخ القالي، وقد جلس في ذلك الجمع من طلابه، فيفتتح مجلسه بآية قرآنية تيمنا وتبركا، ثم يجيل خاطره في غريبها وألفاظها، فإذا الغامض يستدعي شرحاً وتفسيراً – والشرح يستدعي شاهداً والشاهد قد يفضى إلى أبيات أو قصيدة والقصيدة لها قصة. والقصة فيها نوادر من الألفاظ سئل عنها وضروب من الأمثال يستحسن ذكرها.. وما يزال على هذه الحال، ينتقي من الأشعار ويتخيير من مأثور الكلام، مما يدور على ألسنة الأعراب الفصحاء، والنساء البليغات، إلى ما يتخلل ذلك كله من أحاديث شريفة، ويتطلبه المقام من شروح واستطرادات... ثم يستمر في الأخمسة والمجالس فإذا الصحف كثيرة والرقاع مليئة، وإذا الكتاب أخيراً في عشرين جزءاً[2].

وذلك هو منهجه لو أحببنا أن نسميه منهجاً فإذا علمنا مع هذا أن القالي- وهو من هو في الحفظ والرواية- لم يكن يتكئ في أماليه على مكتوب أو مسطور، وإنما كان معوله على ذاكرة قوية، ومحفوظ كثير – وان كان يخلو إلى كتبه بين الحين والحين ليطالع ويراجع – استطعنا أن نفهم بسهولة، كيف أن الرجل لم يطوق عنقه بشئ، ولم يرسم لطريقه منهجاً بل المنطق هو أن نقول: أن الكتاب ما كان ليخرج على ما هو عليه، لأن الطريقة التعليمية التي صاحبت تأليفه جاءت به في هذه الصورة بحيث لا يختلف في كثير عن باقي كتب النوادر والأمالي.

---

(1) الأمالي المقدمة ص 3

(2) أبو علي القالي وأثرهُ– ص 220

فليس الكتاب في حقيقته تأليفاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، بل هو تسجيل أمين، وتقييد مضبوط لمجالس تدريس عالية. أملى فيها القالي ما أملى، وحاضر بما حاضر[1].

وعليه يمكن القول أن الطابع الإملائي هو الذى يتحكم في هذا الكتاب في كل قطعة من أجزائه.

---

(1) أبو علي القالي وأثرهُ – ص 221

المبحث الرابع:

نشر الأمالي:

نشر كتاب الأمالي أول مرة في مصر بمطبعة بولاق سنة 1324هـ، وقد وضع المستشرقان (كرنكو) و(بيفان)[1] فهارس للأشعار التي وردت في كتاب الأمالي وإصدارها في كتاب عام 1913م بمطبعة ليدن. ثم طبع الأمالي مرة ثانية في دار الكتب المصرية عام 1926م.

وبعد ذلك أعيدت طباعته في القاهرة ودمشق وبيروت، واكثرها كان بطريقة التصوير عن طبعة بولاق أو طبعة دار الكتب، وطبعة دار الكتب تشير إلى أن كتاب الأمالي مؤلف من جزءين يليهما جزء ثالث هو ذيل "الأمالي ثم النوادر".

وإذا كنا لا نستطيع أن نستنتج التجزئة الصحيحة للكتاب في القديم، فأننا على الأقل نطمئن إلى وجودها، ويزداد لدينا تأكيدا، ما ذكره ابن خير في فهرسته حين قال[2]: "إن الكتاب أملي بالزهراء في ستة عشر جزءاً للعامة، ثم زاد فيه القالي، فبلغه عشرين جزءا لأمير المؤمنين، وعندما ذكر ذيل النوادر قال: "هو أربعة أجزاء وصل بها النوادر حدثني به شيوخي المتقدم ذكرهم"[3].

فنستنتج من ذلك أن القالي وضع كتاب الأمالي في ستة عشر جزءاً صغيراً عندما أملاه، ثم صار يزيد فيه ويضيف إليه مرة ومرة، حتى اكتمل له مقدار أربعة أجزاء جعلها ذيلاً وصلة للكتاب الأصلي... وحين ذلك رفعه إلى الخليفة الناصر.

---

(1) أبو علي القالي وأثرهُ ص 214

(2) فهرسة ابن خير، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي مكتبة المفتى – بغداد 1963م ص 395، 396

(3) المصدر السابق نفسه

المبحث الخامس:

محتوى الأمالي ومنهج القالي فيه:

قال أبو محمد بن حزم "كتاب الأمالي لأبي علي مبارٍ لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فان كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً"[1].

وقد وصف القِفطي الكتاب في كتابه إنباه الرواة على أنباء النحاة[2] فقال: "وهذا الكتاب غاية في معناه وهو أنفع الكتب، لأنه فيه الخبر الحسن والمثل المتصرف والشعر المنتقى في كل معنى، وفيه أبواب اللغة مستقصاة وليست توجد فى شئ من كتب اللغة مستقصاة مثل ما هي في هذا الكتاب، وفيه القلب والإبدال مستقصى وفيه تفسير الإتباع وهو مما لم يستيقظ إليه أحد إلى فوائد كثيرة "[3].

على أن القالي نفسه يتكلم في خطبة كتابه على محتوى أماليه فيقول: "وأودعتُه فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار وأنواعاً من الأمثال، وغرائِب من اللغات، على أنّي لم أذْكُر فيه باباً من اللغة إلاّ أشبعتُه، ولا ضرباً من الشعر إلاّ اخترته، ولا فَنّاً من الخبر إلاّ انْتَخَلْتُه ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته...الخ"[4].

ويقول: "ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول صلى ا عليه وسلم على أنني أوردتُ فيه من الإبدال ما لم يورده احد وفسرت فيه من الإتباع ما لم يفسره بشر"[5].

فمادة الأمالي كما أرادها أبو علي أمشاج من الأخبار والأشعار والأمثال، يتخللها شئ من تفسير القرآن وحديث الرسول صلى ا عليه وسلم. ويغلب على ذلك

---

(1) معجم الأدباء – لياقوت الحموي – المجلد السابع ص 28

(2) أنباه الرواة على أنباء النحاة ج1 ص 205

(3) أبو علي القالي ومنهجه – ص 533 وانظر أنباه الرواة على أنباء النحاة

(4) كتاب الأمالي ج1 ص 16، 17

(5) المصدر نفسه

كله الطابع اللغوي الذي يميز الكتاب، على حين أننا قلما وجدنا المؤلف يتعرض لقضايا في النحو وهو في ذلك يسير في "أماليه" وفي "بارعه"[1] أيضا على هدي أستاذه ابن دريد.

ومن خلال سطور المقدمة هذه أيضاً يتجلى أبو علي مؤلفاً شديد الثقة بنفسه معتداً بعلمه وبخاصة في مجال التصريف. وليس هذا مبالغة منه، فما بين دفتي كتابه من نصوص قيمة أمر لا ينازع فيه ويدل على أن صاحبه حوى خطير علوم العربية في عصره.

منهج الأمالي:

إن غزارة المادة في كتاب الأمالي سمة بارزة فيه، فهو غني بنصوص الشعر والنثر مما يعزز وجوده في كثير من كتب الأدب. وإذا تساءلنا عن المنهاج الذي آثره القالي في كتابه القيم هذا توعرت بنا الدروب لمعرفة ذلك.

فهذه السنة في التأليف التي تضيق بالتزام الموضوع وتحديد إطاره ابتدعها الجاحظ ووطد أسسها في كتبه وقلما استطاع المؤلفون بعده أن يتحرروا منها. وكان جديراً بالقالي وقد عاش في القرن الرابع أي بعد المرحلة الجاحظية الرائدة بأكثر من قرن أن يعمد إلى شئ من تنسيق الأشباه والنظائر في كتابه[2].

فقد رأينا عدداً ممن عاصروه بل سبقوه كابن قتيبة وابن عبد ربه يجنحون إلى نوع من التبويب، في مصنفاتهم الكبيرة، برغم بقاء ظاهرة الاستطراد فيها.

ويمكن القول أن أبا علي ما زال في عصره القرن الرابع الهجري يمثل الاتجاه العربي الخالص، وينطوي على سمات المحافظة دون أن يسمح بمقدار كافٍ للمؤثرات

(1) نشير إلى كتابه "البارع" للمؤلف نفسه
(2) أبو علي القالي ومنهجهُ – ص 534

الدخيلة لتؤثر في منهجه، على حين نجد بين معاصريه علماء كانوا في الطرف المقابل كقدامة بن جعفر الذي اصطنع في كتابه "نقد الشعر" تقسيمات شديدة التحديد.

لقد كان القالي حريصاً على التمسك بتقاليد العرب العلمية التي كانت ترتكز لديه على شعور الوفاء لشيوخه العلماء وتتجلى في الرواية عنهم وإسناد المنقول إليهم. وهذه الظاهرة تبرز أمامنا في كتاب أبي علي وتشيع في سائر كتبه، حتى إننا قلما نقع خلال الأمالي على فقرة لا تبدأ بإحدى العبارات التقليدية المألوفة: (حدثنا، أو أنشدنا، أو قرأت على فلان...)[1]. حتى إن الرواية عن الآخرين تكاد تطغى على ما عداها من أقوال المؤلف وآرائه. فهو شبيه برجال الحديث في الرواية والإسناد، ثم يدلى أحياناً بدلوه بين الدلاء في تواضع جم.

إن طابع الإملاء واضح في كتاب الأمالي فقد كان يجلس في مسجد قرطبة وحوله جمع غفير من المريدين والطلاب والمتأدبين، وقد اخذ يسترسل في إيراد الأخبار ويتدفق في إنشاد الأشعار، ثم يجلو عويصها ويفسر غريبها ويشرح غامضها- وسنفصل لاحقاً- وقد تدعو فكرةُ فكرةً أخرى خطرت بباله، أو قصيدة تذكره بما يشبهها في عبارة وردت فيها أو معنى عرض خلالها، فإذا الرجل آخر الأمر قد ابتعد عن موضوعه الأول أشواطاً. ولم يكن هذا الاستطراد في ذلك العصر عيباً، بل كان مزية يراد منها أن تذهب عن الطلاب السأم وتنتقل بهم أو بقراء الكتاب في أجواء مختلفة.

ولعل من أسباب ضعف التبويب وقلة التنظيم في كتاب الأمالي أن مؤلفه كان يعتمد على طريقة الإلقاء والإملاء من محفوظه وعن ظهر قلبه[1].

ولاشك أن هذه مقدرة وملكة تنتزع الإعجاب والتقدير لهذا العالم الجليل.

---

[1] أبو علي القالي ومنهجهُ – ص 535

[1] أبو علي القالي ومنهجهُ – ص 535

وأبو علي نفسه يعتد بغزارة محفوظه فيقول في خطبة كتابه: "فأملت هذا الكتاب من حفظي"[2]. ويؤثر عن القدماء أنهم كانوا يرون أن الحفظ أعلى منازل العلم، وأن الحفّاظ من أسمى منزلة بين الفقهاء والمحدثين. لقد كان أبو علي من هذا القبيل، وهو يباهي بأنه حوى علوم السلف، ويبدو هذا الاعتداد واضحاً في خطبة كتابه حيث يقول: (لما رأيتُ العلم أَنْفَس بضاعة أعملتُ نفسى في جمعه، وشَغَلْت ذهنى بحفظه، حتى حويت خطيره، وأحرزت رفيعه، ورويتُ جليله، وعرفت دقيقه، وعقَلْتُ شارده، ورويت نادره)[3].

وهذا واضح الدلالة على حرص أبي علي على الجمع والاستيعاب، شأنه في ذلك شأن أكثر المؤلفين القدامى. وقد ذكر ابن بسام أن أبا علي كان يقول لأهل الأندلس: "أن علمي علم رواية وليس بعلم دراية، فخذوا عني ما نقلت"[4].

وفي هذا القول ما يكشف عن طابع كتاب أبي علي فضلاً عن أنه ينم على تواضعه، فهو حجة في النقل راوية ثقة.

وأغلب الظن أن أبا علي كان يأنس من أهل الأندلس وجمهور قرطبة شغفاً بأخبار المشارقة وإقبالاً على علمهم وأدبهم، فيعمد من جهته إلى إرضاء هذا التطلع في نفوسهم ويحرص على أن يبهرهم بسعة محفوظه وغزارة علمه وكأنه يضع بين أيديهم حصيلة ما حواه شيوخه وما آل إليه منهم. ومما يؤيد هذه الرغبة في نفسه أنه وهو المعدود على مذهب البصريين كان لا يتردد في النقل عن الكوفيين...

كما أنه يكثر في أماليه من الرواية عن أبي بكر بن الأنباري وينقل أيضاً عن الكسائي وعن الفراء وعن ثعلب وسواهم من الكوفيين، وينقل في الوقت نفسه عن

(2) الأمالي – ج1 – ص 16، 17
(3) المصدر نفسه – ص 1
(4) المصدر نفسه – ج1 ص 1، 2

سائر اللغويين والنحاة البصريين كالمبرد والاخفش وابن درستويه وابن دريد وابن الزجاج[1].

وخلاصة الأمر إن كتاب الأمالي في جملته مختارات أدبية رفيعة تتسم في الغالب بالأصالة والندرة وتنطوي في الوقت نفسه على الفائدة والمتعة.

(1) أبو علي القالي ومنهجهُ – ص 537

المبحث السادس:

بين الأمالي والكامل للمبرد:

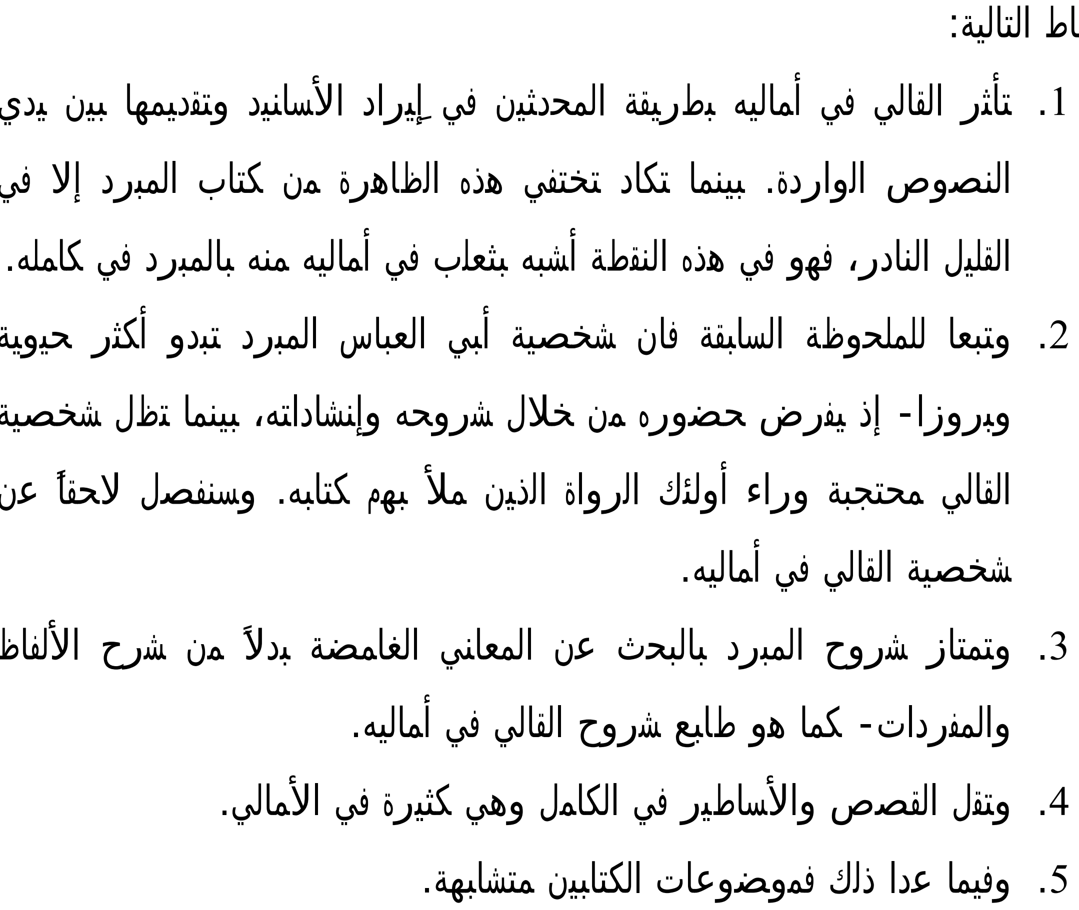
ومما ذكره الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه[1] "أن القالي نقل عن الكامل للمبرد، ومجالس ثعلب، فأما المجالس أو "(الأمالي) فهي حقا من المصادر الكتابية المصرح بها كما رأينا"، وأما الكامل فإن ابن حزم الأندلسي كان أول من لاحظ وجود شبه قوي بينه وبين كتاب القالي الذي وصفه بقوله: (وهو مبارٍ لكتاب الكامل لأبي العباس المبرد، ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا، فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعرا)[2].

ولعل هذا الشبه القوي بين الكتابين هو الذي جعل الأندلسيين يدرسون الأمالي بإزاء الكامل. فمن درس الأول وحفظه، درس الثاني وحفظه أيضاً. غير أن ذلك لا يعني أن القالي نقل عن المبرد، على سبيل القطع والجزم. بل يبدو لي أن القالي لم ينقل عن المبرد مباشرة – وهو لم يشر إلى ذلك مرة واحدة – وإنما كان يعتمد فيما ذكره للمبرد (ت 285هـ) على رواياته عنه بواسطة أشياخه، فإذا كان هناك كثير من النصوص الشعرية والأدبية المشتركة بين الكتابين، فهذا يفيد أن القالي حين يقول في أماليه (قال المبرد...) أو يقول: (ذكر أبو العباس كذا...) فليس يعني أنه ينقل عن كتاب الكامل، وإنما ينقل عن أشياخه[3] عن المبرد ما أخذوه عنه في مجالس تدريسه وإملائه. والدليل على ذلك أيضا، أننا نجد نصوصاً كثيرة مروية عن المبرد، ولا اثر لها في الكامل المطبوع.

(1) مناهج التأليف عند العلماء العرب – د. مصطفى الشكعة دار العلم للملايين – بيروت ط2 1974م، ص 361

(2) المرجع نفسه ص 361.

(3) منهم أبو بكر بن أبي الأزهر – ونفطويه وابن الانباري – وابن درستويه – وهم الرواه عن المبّرد



والذي يهمنا بعد ذلك ، هو المقارنة بين خصائص الكتابين والتى نوجزها في النقاط التالية:

1. تأثر القالي في أماليه بطريقة المحدثين في إيراد الأسانيد وتقديمها بين يدي النصوص الواردة. بينما تكاد تختفي هذه الظاهرة من كتاب المبرد إلا في القليل النادر، فهو في هذه النقطة أشبه بثعلب في أماليه منه بالمبرد في كامله.
2. وتبعا للملحوظة السابقة فان شخصية أبي العباس المبرد تبدو أكثر حيوية وبروزا- إذ يفرض حضوره من خلال شروحه وإنشاداته، بينما تظل شخصية القالي محتجبة وراء أولئك الرواة الذين ملأ بهم كتابه. وسنفصل لاحقاً عن شخصية القالي في أماليه.
3. وتمتاز شروح المبرد بالبحث عن المعاني الغامضة بدلاً من شرح الألفاظ والمفردات- كما هو طابع شروح القالي في أماليه.
4. وتقل القصص والأساطير في الكامل وهي كثيرة في الأمالي.
5. وفيما عدا ذلك فموضوعات الكتابين متشابهة.

المبحث السابع:

شخصية القالي في أماليه:

ذكرنا فيما سبق أن شخصية القالي ظلت مختفية وراء أسانيده ورجال رواياته فقد كنا نقصد بذلك الحكم العام، وتبقى بعده استثناءات وجزيئات... وهذه الاستثناءات التي تظهر فيها شخصية القالي، لا تتمثل إلا في تدخلات سريعة ومقتضبة بين الحين والآخر، ويمكن حصر أنواع هذه التدخلات الموجزة النقط التالية[1]:

1- التدخل لإبداء حذر أو شك في رواية أو كلمة أوردها، ومثال ذلك ما هو في الجزء الأول قوله (وقال أبو بكر[2]: القعواء، المتباعدة ما بين الفخذين ولم أسمع هذا من غيره، والذي ذكره اللغويون في كتبهم فيما قرأته الفجواء، المتباعدة ما بين الفخذين)[3].

2- التدخل للتنبيه على أوهام العلماء، وإصلاح ما فسد فى منطق العامة، ومثاله قوله: (وقال اللحياني، دورى، ودؤرى، يهمز ولا يهمز. قال أبو علي: دورى منسوب إلى الدور فأما دؤرى بالهمز فهو عندنا غلط)[4].

3- التنبيه على اختلاف الروايات عند العلماء ومثاله قوله: (وكان أبو بكر بن دريد ينشد (رجبية) بتشديد الياء فقط، وأنشدنا أبو بكر بن مجاهد المقرئ عن أحمد بن يوسف التغلبي (رجبية) بتشديد الجيم والياء، وكذلك أقرأني أبو بكر ابن الأنباري في الغريب بتشديد الجيم والياء).

4- إبداء رأيه في قضايا لغوية، والرد على بعض العلماء في تأويلاتهم وشروحهم ومثاله قوله: (واللغويون يقولون: معقول ، أي عقل، وأبو علي يقول: إنما

---

[1] أبو علي القالي وأثرهُ في الدراسات الأدبية – ص 247 والأمالي – ج1 ص 276
[2] يقصد أبو بكر بن دريد
[3] الأمالي ج1 ص 105
[4] انظر الأمالي ج1 ص 93، 205 – ج2، ص 28، 130

أراد بمعقول: أي ماله شئ عقل أي، شُد أي ليس له هناك عقل أمسك عليه)[1].

5- إصدار بعض أحكامه النقدية السريعة، وبالخصوص فيما يسمى بالسرقات الأدبية، ومثاله قوله: (وقرأت على أبي بكر بن دريد ليزيد بن الطثرية

-عقَيليه، أما ملأث إزارها
فدعص، وأما خصرها فبتيلُ
-تَقيظُ أكنافَ الحِمى ويظِلها
بنعمان من وادي الأراك مقيلُ
-أليس قليلا نظرةٌ إن نظرتها
إليك وكلا ليس منك قليل

قال أبو علي: أخذ مِن هذا اسحاق بن إبراهيم الموصلي فقال:

-هل إلى نظرة إليك سبيل
يرو منها الصدى ويشْفَ الغليل
-ان ما قلّ منك يكثر عندي
وكثير ممن تحب القليل

والأمثلة على ذاك كثيرة في الأمالي، وخلاصة الحديث عن كتاب الأمالي وما قيل عن الأمالي من نسخ هذا الكتاب المغربية كتبت ترجمة القالي بقلم احد القراء أو النساخ وأولها "ومن أمثال أهل الغرب، ومن لم يقرأ أمالي القالي، فهو للأدب العالي قالي "كذا"[2].

---

(1) الأمالي ج2 ص 133 – أي في قولهم (ماله معقول)

(2) أبو علي القالي وأثره في الدراسات الأدبية ص 249 وانظر مقدمة ابن خلدون الجزء الرابع ص 267

هذا كله ضمن الشهرة الواسعة، والمكانة العالية لكتاب أبي علي، عند أهل المغرب خاصة وفي العالم الإسلامي عامة منذ تأليفه إلى الآن، وذلك لما حفل به من النصوص اللغوية والأدبية الغزيرة، التي أكثر الناس من النقل والرجوع إليها. فإذا عرفنا من خصائص القالي أنه موصوف عندهم بالثقة، منعوت بالأمانة العلمية والتثبت في الرواية، وقد وصفه الحميدي فقال (وكانت كتبه في غاية التقييد والضبط والإتقان وذكره السهيلي في أماليه فقال: (وهو ثقة). وجعله السيوطي في المزهر، عمدته ونموذجه الذي يأخذ منه النصوص ويضرب به الأمثلة على آداب اللغة في التثبيت والرواية والحفظ والأمانة)[1].

وكتاب الأمالي يساعدنا ويعيننا على معرفة جوانب من حياة القالي في الشرق أيام سعيه لتلقي العلم والصبر على مكابدة مشاقه، ومن لقى أثناء ذلك من الشيوخ والحفاظ والشعراء وما قرأه عليهم من كتب في موضوعات شتى. ونوع الثقافة التى لقنها على أيديهم، فان ذلك كله يكون وثيقة هامة نؤرخ بها حياة القالي الفكرية... ونوع الثقافة التي أدخلها الأندلس، والمنهج العلمي الذي سلكه ثم بثه في تلاميذه.

ولاشك أن الأمالي إذا ضم إلى بقية كتب القالي، فسيؤلف عنصراً هاماً من الثقافة الشرقية التي دعمت الثقافة الأندلسية الناشئة.

---

[1] راجع المزهر للسيوطي

المبحث الثامن:

أثر الأمالي في الدراسات الأدبية واللغوية بالأندلس:

بدأ اهتمام طلاب العلم والعلماء في الأندلس بكتاب الأمالي ، منذ الخميس الأول الذي جلس فيه القالي لإملائه بالزهراء[1]. وقد كانت الحلقة الواسعة من طلابه ومريديه، هي أول طبقة تلقنته من فم صاحبه ، ثم عملت على تدريسه واقرائه وتقليده، وشرحه وتلخيصه ونقده والنقل عنه في مصنفاتها.

روايته بالأندلس:

فمن الطبيعي أن يكون طلبة القالي والآخذون عنه، هم أول من يحمل هذا الكتاب ويرويه ، وإذا كنا نخشى المبالغة أن قلنا أن كل تلاميذه من الطبقة الأولى قد اخذوا عنه الأمالي أو جزءا منه على الأقل، وإن الذين تأكد ابن خير الإشبيلي[2] من شأنهم، جماعة ذكر منهم تسعة عشر رجلاً، منهم على سبيل المثال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي وأبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد، وأبو العاص حكم بن منذر بن سعيد القاضي... وآخرون.

وبعد هذه الطبقة نجد من الذين إعتنوا برواية الكتاب وقراءته وحفظه عدد يصعب إحصاؤه ومنهم على سبيل المثال: أبو عمر القرموني، وأبو عبد ا بن محمد بن بهلول الكفيف، وأبو القاسم الطيلساني[3].

---

[1] الأمالي المقدمة ص (1-3)

[2] الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي تحقيق د. محمد ابن شريفة – بيروت دار الثقافة د. ت ج1 – ص 393

[3] المصدر نفسه – ص 393

أما أهم ستة أسانيد لروايته بالأندلس فأغلبها ينتهي في القرن السادس الهجري- وبعضها إلى السابع والثامن إلى الثالث عشر وهي أسانيد أبي محمد بن عطية، والقاضي عياض وابن خَير الاشبيلي، وصالح بن محمد الفلاني...إلخ ومنها يبدو مدى الإقبال والعناية التي لقيها الكتاب بمر العصور.

وهذه الأسانيد المذكورة وغيرها تعتبر وثيقة هامة بالنسبة لكتاب الأمالي[1] إذ بهما تفتح نافذة على واحدة من الطرق التي انتقل بها سنده من الأندلس إلى المشرق.

[1] أبو علي القالي وأثرهُ – ص 261

المبحث التاسع:
الدراسات والشروح التي قامت حوله بالأندلس

هذا هو الجانب الثاني الذي يصور منزلة الكتاب، وما حظى به من اهتمام عند أهل الأندلس ويدل على بعض المسالك التي سارت فيها الثقافة الأندلسية، وعلى مقدار تأثيره في دراساتها اللغوية والأدبية.

- وأول دراسة قامت حول الكتاب من حيث الأهمية، هي التي عني بها أبو عبيد البكري المتوفي سنة (486) أو (496هـ) في كتابين له:

(1)(كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي) و (كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه).

أما كتاب اللآلي في شرح الأمالي: فقد نال عناية كبيرة من العلامة عبد العزيز الميمني، فحققه وصححه، ووضع حواشيه ثم طبعه سنة 1936م. بمصر، تحت عنوان (سمط اللآلي) في ثلاثة أجزاء، الجزءان الأولان منه تعليقات وحواش على (اللآلي في شرح أمالي القالي) والجزء الثالث خاص بشرح (الذيل) و(صلة الذيل) على طريقة البكري. وذلك أن صاحب اللآلي في الأصل، اقتصر على شرح الأمالي بجزئية، وأغفل الذيل وصلته، لان شهرة الأمالي قد غطت على شهرة ملحق.

وأما مضمون الكتاب ومحتواه فيلخصه البكري نفسه في المقدمة فيقول: (هذا الكتاب شرحت فيه من النوادر التي أملها أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ما أغفل، وبينت من معاني منظومها ومنثورها ما أشكل، ووصلت من شواهدها وسائر أشعارها ما قطع، ونسبت من ذلك إلى قائليه ما أهمل...)[1].

ففي هذه المقدمة يرسم البكري منهجاً وعد أن يفصل كتابه على مثاله، بأن لا يقف موقف الشارح الذي لا يعدو تبسيط معقد وحل مشكل، وتوضيح غامض، بل

[1] اللآلي في شرح امالي القالي – ص 2

كلاف نفسه فوق ذلك أن يصل ما قطع القالي من الشواهد، ويعزو منها ما أغفله إلى قائليه، ويورد اختلاف الروايات فيما حكى فيه المؤلف وجهاً واحداً، ثم يصوب الأخطاء، ويرد على الآراء، وينبه على الأوهام بالأدلة والحجج. وهذا عبء ثقيل حقا، لا يقوم بحمله ممن يروم التصدي لعالم جليل كبير كالقالي، إلا ذو القدرة والرسوخ في العلم. ولم يكن هذا الأمر معجزا للبكري الذي حوت خزائنه كثيراً من خطوط العلماء ونوادر المؤلفات، والذي اشتهر بعدة تصانيف وتعليقات على كتب فحول اللغة وفرسانها.

قال الميمني في مقدمة السمط: (لا غرو أن البكري كان حريصاً على انتقاء الكتب ذوات الخطوط المنسوبة، مغرما باقتنائها، مثبتا في ضبط الألفاظ وتقييد الروايات...)[1].

كل ذلك نرى فيه كم كلاف البكري نفسه وكم احتاج إلى الرجوع لكتب القدماء وخطوطهم الموثقة، في سبيل إعداد دراسة وشرح للأمالي.

(2)أما الكتاب الثاني فهو كتاب (التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه) فقد طبعه ناشر الأمالي في سفر واحد مع الذيل والنوادر. بتعليقات الأب اليسوعي أنطوان صالحاني. غير أن محتواه الذي يدل عليه عنوانه لم يكن شيئا يختلف في كثير عما ورد باللآلي من التنبيهات والتصويبات والنقود. ولذلك قال العلامة الميمني:

(وهذه التنبيهات توجد في اللآلي أوفى وأوعب مما في (التنبيه) وكأنه، رحمه ا التقطها من اللآلي، وأفردها في كتاب مفرز، ليقدمه إلى المعتمد بن عباد- المؤلف له الكتاب – وسميه باسمه، فأني لم أجد فيه شيئا زائدا على ما في اللآلي، اللهم إلا أسطر نقلتها في تعليقاتي فلم يبق فيه بقية، فلا عليك إن لم يحوه خزانة كتبك)[2].

[1] مقدمة سمط اللآلي في شرح أمالي القالي – ص 7
[2] المرجع نفسه – ص 7

وعلى سبيل المثال يمكن تلخيص أنواع مآخذه على القالي في (التنبيه)[1] في الآتي:

- أبيات لم ينسبها القالي- أو نسبها لغير أصحابها.
- أشياء يرويها ثم يخطئ في تفسيرها.
- أخطاء وتصحيف وتخلبط في بعض ما يرويه.
- إهماله تفسير بعض الأبيات، واقتصاره فيما يفسره على الظاهر من الألفاظ دون الباطن من المعاني.
- إسقاطه من الشعر ما يخل بمعناه.
- اتباعه لأخطاء سابقيه.

وهكذا نلاحظ أن الفرق بين كتابي البكري هو أن اللآلي توسع صاحبه ، فأورد الشروح والتصويبات، والأخطاء المنبه عليها وكتاب التنبيه عبارة عن جرد مرتب بخصوص تلك النقود والتنبيهات، فكأنه اختصار من الأول[2].

ولا يحسب الباحث فيما تقدم، أن البكري بتنبيهاته ونقوده كان يريد الغض من قيمة الشيخ القالي، أو الطعن في معارفه ومداركه، والتهوين من منزلته في نفوس الأندلسيين، بل هو الذي يقول في مقدمة التنبيه (وأبو علي – رحمه ا – من الحفظ وسعة العلم والنبل، ومن الثقة في الضبط والنقل، بالمحل الذي لا يجهل، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل، ولكن البشر غير معصومين من الزلل، ولا مبرئين من الوهم والخطل، والعالم من عدة هفواته، وأحصيت سقطاته)[3].

-كفى المرء نبلا أن تعد معايبه.

---

[1] مقدمة سمط اللآلي في شرح أمالي القالي – ص 77، 104، 119

[2] أبو علي القالي وأثرهُ - ص 270

[3] اللآلى في شرح أمالي القالي ص 4

وقد قامت على كتاب الأمالي، شروح ومختصرات ودراسات أندلسية أخرى، تعتبر اليوم في المفقودات ونذكر هنا ما استطعنا معرفته منها، بالإضافة إلى ما ذكرناه من شروح ودراسات سابقة.

(1)كتاب نظام القرطين، وضم أشعار السقطين. كتاب لأبي العباس احمد بن عبد الجليل التدميري المتوفي سنة (555 هـ) جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي على البغدادي... وقال عنه ابن عبد الملك المراكشي: (نظام القرطين وضم أشعار السقطين، كامل الثمالي[1] ونوادر القالي، ووقفت عليه بخطه).

(2)شرح لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد إبراهيم ويعرف بالأعلم البطليوسي وله شروح في الإيضاح والجمل، والكامل والأمالي، وغيرها.

(3)مختصر لأبي العباس احمد بن عبد المنعم الشريشي شارح المقامات والمتوفى سنة 619هـ. ذكره غير واحد من أصحاب التراجم[2].

(4)شرح أشار إليه ابن القاضي في درة الحجال ضمن مصنفات أبي عبد ا محمد بن يوسف النفري الغرناطي، الشهير بأبي حيان النحوي المتوفي سنة (745هـ) وسماه (الأمالي في شرح القالي)- كذا – فان صح له هذا الكتاب فقد يكون شرحاً على الأمالي.

(5)كتاب المؤاخي النادرة في الجمع بين اللآلي والنوادر، لأبي عبد ا الرعيني، ذكره العيني في المقاصد النحوية ونقل منه ترجمة للعجاج وابنه رؤبه.

(6)كتاب "نكت الأمالي" لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي النحوي (ت 745هـ). ذكره ابن شاكر في الفوات أثناء ترجمته لأبي حيان. ولاشك أن هذه الأمالي المذكورة هي أمالي القالي.

---

[1] المقصود بالثمالي : (المبرد، نسبة إلى ثمالة قبيلة من الأزّد)

[2] راجع الذيل – ج1 – ص 236

ولاشك أن بلاد الأندلس عبر عصورها الطويلة، عرفت حركة تأليف أوسع مما ذكر حول الأمالي، تعوزنا الآن أسماؤها. على أن بعضها كان يتمثل في تعليقات وحواش وطرر، مما يضعه العلماء عادة على الكتب التي يهتمون بقراءتها وقد وقع الأستاذ الميمني على نسخة خطية عتيقة من الكتاب محفوظة بدار الكتب المصرية.

قال: (وهي أُصل علماء الأندلس، ولهم طرر عليها كالوقشي وغيره كتبت سنة 486هـ ، لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر)[1].

[1] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي – ج1 – ص 346

المبحث العاشر:

خصائص كتاب الأمالي

1/ الدقة المتناهية في الإسناد والرواية:

إن كثرة المادة العلمية في كتاب الأمالي سمة بارزة فيه، فهو غني بنصوص الشعر والنثر مما يعز وجوده في كثير من كتب الأدب، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

وقد كان القالي حريصاً على التمسك بتقاليد العرب العلمية التي كانت ترتكز لديه على شعور الوفاء لشيوخه العلماء وتتجلى في الرواية عنهم وإسناد المنقول إليهم. وهذه الظاهرة تبرز أمامنا في كتاب أبي علي وتشيع في سائر كتبه، حتى إننا قلما نقع خلال الأمالي على فقرة لا تبدأ بإحدى العبارات التقليدية المألوفة: (حدثنا أو أنشدنا أو قرأت على فلان...)[1].

حتى أن الرواية عن الآخرين تكاد تطغي على ما عداها من أقوال المؤلف وآرائه.

ومن أمثلة ذلك قال أبو علي[2]: (ومن اللحن الحديث الذي يروى عن النبي صلى ا عليه وسلم إلى آخر ما ذكر فيه، هذا الحديث مسند رواه مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى ا عليه وسلم أن النبي قال... إلخ)[3].

ومن الأمثلة أيضا في "مطلب تفسير الغريب من حديث السحابة"[4].

قال المؤلف "وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه ا قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد بن حفص سمعان النحوى قال حدثنا أبو عمر الضرير قال حدثنا عباد بن حبيب بن

---

(1) انظر: الأمالي، ج1، ج2

(2) المصدر نفسه ، ص 5، 6

(3) المصدر نفسه ص 6

(4) المصدر نفسه ص 8

المهلّب عن موسى بن محمد بن إبراهيم التميمى عن أبيه عن جده قال: بينَا رسول ا صلى ا عليه وسلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة...إلخ الحديث"[(1)].

2/ شرح الغريب:

ونجد في الغالب أثر كل قصيدة أو قصة أو خطبة تذكر، حصة تقصر أو تطول، يشرح فيها أبو على ما لابد شرحه، ويذكر ما يحضره من الأوجه الممكنة للكلمة الغريبة، معتمداً على أقوال اللغويين وآرائهم[(2)]. وقد يطول هذا الشرح حتى يأتي على صفحات متعددة، وذلك عندما فعل عند شرحه لحديث الجوارى الخمس اللائي وصفن خيل آبائهن[(3)].

وفي ذلك يقول المؤلف[(4)]: "وحدثنا أبو بكر رحمه ا قال حدثني عمى عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال: اجتمع خمس جوارٍ من العرب فُقْلن: هلُممن نَصِف خيل آبائنا فقالت الأولى: فرس أبي وردة، وما وردة ذاتُ كفَلٍ مزحلْقٍ، ومتْن أَخْلَق وجوف أخْوق، ونَفْسٍ مروح، وعين طروح ورجل ضروح، ويد سبوح...

وقالت الثانية: فرسٍ أبي اللّعاب، وما اللّعاب! غبيةُ سحاب، واضطرام غاب مترْص الأوصال، أَشمّ القذَال، مَلاحك المحال، فارسه مجِيد، وصيده عتِيد إن أَقبل قَظْبي معاج، وإن أدبر قَظَلَيم هداج وإن أحضر فَعلج هراج وقالت الثالثة: فَرس أبى حذَمة، وما حذَمة إن أقْبلتْ فقناةُ مقومة وإن أدبرتْ فأُثفية ملْملمة، وإن أعرضتْ فذئبةُ معجرمة، أرساغُها مترْصة وفصوصها ممعصه، جريها انْثِرار وتَقْريبها انكِدار.

قال الرابعة: فرس أبى خَيِفق، وما خَيفَق! ذات ناهقٍ معرق، ومِشدقٍ أَشْدق، وأديم مملّق، لها خَلْقُ أشْدف، ودسِيع منَفْنَف، وتَليلُ مسيف، وثابة زلُوج، خَيفانة رهوج، تَقْريبها إهماج، وحضرها ارتْعاج.

---

(1) الأمالي ج1 – ص 8، وانظر:تفسير القرآن العظيم – ابن كثير دار الفكر، بيروت 1401هـ الجزء الثالث ص 348

(2) أبو على وأثره في الدراسات – ص 223

(3) الأمالي ج1 – ص 187

(4) المصدر نفسه– ص 188

قالت الخامسة: فَرس أبى هذْلُول وما هذْلُول! طَريدة محبول، وطالبه مشْكُول رقّيق الملاَغِم، أمين المعاقم، عبلُ المحزم، مِخَدمِرجم، مِنِيف الحارك، أشم السنابِك، مجدول الخَصائل سِبِط الغَلاَئل، عوج التّلِيل، صلْصال الصهيل، أَدِيمه صاف وسِبِيبه ضاف وعفْوه كاف.

فنجد أبو علي يقول في شرح مفردات الغريب من حديث النسوة:

المزحاق: المماس الذي كأنه زحلُوقة وهي آثار تَزلج الصبيان من فوقُ إلى أسفل[1].

-الأخلاق: الأملس ومنه قيل صخْرة خَلْقاء.

-أخْوق: واسع – وقال أبو عبيدة عن أبى عمرو: الخوقاء – الصحراء التي لا ماء بها ويقال الواسعة – ومروح: كثيرة المرح. -وطَروح: بعِيدة موقع النظر – ضروح: دفُوع، يريد أنها تَضرح الحجارة برجليها إذا عدت، وسبوح: كأنها تَسبح في عدوها من سرعتها- وبداهتُها: فُجاءتها، والبداهة والبديهة واحد. والإهذاب: السرعة، ... والعقْب: جرى بعد جرى. وغِلاب: مصدر غالبته ومغالبة وغِلابا، كأنها تُغَالِب الجرى والغبية: الدفعة من المطر. والغاب جمع غابة، وهي الأجمة. مترْص: محكم أترصتُ الشئ: أَحكمته. وأشَم: مرتفِع والقَذَال:معقِد العِذار. وملاحك مداخل، كأنه دوخِل بعضه في بعض والمحال جمع محالة، وهي فَقَارة الظهر، وواحدة الفقار فقارة... ومجِيد صاحب جواد وعتِيد: حاضر.

قال ابو عبيدة: معج الفرس اذا اعتْمد على إحدى عِضادتى العِنَان مرة في الشق الأيمن ومرة في الشق الأيسر. وقال الأصمعي[2]: يقال: معج في سيره وعمج إذا أسرع. وهداجِ: فعال وقال الأصمعى: الهدج: المشْي الرويد ويكون السريع.

---

[1] الأمالي ، ج1 ، ص 188
[2] المصدر السابق نفسه ص 188

قال أبو نصر[1]: هرج الفرس يهرج هرجا إذا كان كثير الجري، وإنه لمِهرج وهراج.

والعِلْج: الحمار الغليظ. وحذَمة فُعلة من الحذْم، قال أبو بكر: الحذْم السرعة، وقال غيره: الحذْم: القطع ومنه قول عمر – في الأذان فإذا أقمت فاحِذْم[2]. وقولها: فقناةُ مقومة، تريد أنها رقيقة المقدم وهو مدح الإناث.

والأُثفِية. واحدة الأثافي. وملَملَة مجتمعه، تريد أنها مدورة المؤخرة، لأن الأثافى تُخْتار مدورة. وقولها: معجرمة قال أبو بكر العجرمة: وثْب كوثْب الظّبي... وممحصة: قليلة اللحم قليلة الشعر، ومحِص الجلْد إذا سقط شعره واملاس. وانثرار قال أبو بكر انْصباب، كأنه يثُره ثراً...الخ[3].

والأمثلة عديدة، وربما خالف العادة، فأتى بقصائد وأخبار طويلة دون أن يعمد إلى لفظة واحدة فيجلو غامضها، أو يدل على غريبها[4].

غير إنه ليس ملوما حيث يطيل في شرح الغريب وتفسيره، ما دام الكتاب يؤدي أغراضاً تعليمية، ولكنه يلام أحياناً كثيرةً حيث يقدم هذا الغريب في صورته الجافة مؤثرا الاقتضاب – والإجحاف في الشرح، بأن لا يعدو ذكر الكلمة وما يردافها من كلمات أخرى، كما هو واضح من النص الذي أقتضبه من شرحه لحديث "زبراء الكاهنة"[5]. وهو شرح استغرق حوالى الصفحتين على نسقٍ واحدٍ وفيه يقول:-

"والظنْبوب: مقَدم عظْم الساق. ومسرودة مشَكّوكة. ومقْتَبل: مستأنف الشباب.

وأشَايب: أخلاط من الناس. والصّيابة صميم القول وخالصهم. وأم اللُّهيم الداهية. والحواصِب: الرياح التي تَسفى الحصباء. والخَوامع: الضباع. واللاحب: القاشر، لَحبتُ الشئ قَشَرتْه والمخارِص: واحدها مِخْرص وهو سِكّين كبير مثل

---

[1] الأمالي، ج1 ، ص 189
[2] المصدر نفسه
[3] المصدر نفسه، ج1 ، ص 187- 192
[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 216 - 222
[5] المصدر نفسه ، ج1 – راجع مطلب الحديث في الأمالي ص 129

المِنْجل يقطع به الشجر، وخريص البحر: خَليج منه كأنه مخْروص، أي مقطوع من معظَمه. والصاقب: جبل معروف. وحجر: حرام. والأعذَبان النكاح والأكل. والأحمران: اللحم والخمر السر: النكاح..."[1].

فهذا مقطع قصير من أصل صفحتين، رصفت فيهما الكلمات المعجمية الغريبة وصفاً جافاً[2].

امتياز بذكر أحاديث ابن دريد الشَّهيرة:

امتاز القالي بذكر أحاديث ابن دريد الشّهيرةِ دون غيره لتميزه بالألفاظ الصعبة.

وابن دريد: هو أبو بكر بن الحسن بن دريد الأزدي (223-321هـ).

وكان القالي قد استقر في بغداد قبل أن يدخلها أبو بكر بن دريد سنة (308هـ) بعد تجوال طويل ما بين البصرة مولده ومرباه وعمان موطن أجداده الأزد، وفارس حيث أصبح رئيس ديوان آل ميكال، وشاعر الشاه عبد ا بن محمد بن ميكال وولده أبي العباس إسماعيل بن عبد ا . وهناك نظم مقصورته الشهيرة في مدحهما، فأتى فيها على ثلث الأسماء المقصورة وابتدأها بقوله:-

يا ظبية أشبه شئ بالمها

ترعى الخزامى بين أشجار النقا

كما أملى أبا العباس ممدوحه، كتابه النفيس الذي عارض به مدرسة الخليل المعجمية، فملأه بما شاء من جمهور اللغة حتى سماه "الجمهرة"[3] وعند دخوله بغداد ليقضي الفترة المتبقية من حياته في الإملاء والتدريس، كان قد أصبح أشهر عالم في

---

[1] الأمالي ، ج1 ، ص 129

[2] أبو علي القالي وأثره – ص 224

[3] جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن دريد ط1 – دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد 1345هـ

اللغة والأدب والمعرفة بالسير والأخبار، فاحتل مكان أبي العباس المبرد وقد عده لذلك أبو بكر الزبيدي من رجال الطبقة السادسة من لغوي البصرة[1].

ويعتبر ابن دريد أكثر الشيوخ أثراً في ثقافة أبي علي القالي الذي لزم مجالسه إلى أن مات. وكان مصدره الأول في كل ما ملأ به. كتبه - ولاسيما الأمالي- من الأخبار والأشعار واللغة.

ومن أمالي القالي التي تضمنت كثيراً من الأخبار الطوال والقصار، يمكننا أن نستخرج أسانيد ابن دريد فيما رواه من تلك القصص.

وقد كانت لشخصية ابن دريد المرحة، وخياله الخصب، وتمكنه من اللغة وأساليب العرب الأدبية، يد في خلق كثير من الأخبار والقصص سماها الحصري "بالأحاديث الأربعين"، وذكر أن بديع الزمان إنما أراد بمقاماته محاكاة ابن دريد[2]. ولذلك عده زكي مبارك واضع فن الأقصوصية الأول. ومبتكر فن المقامات في أدبنا قبل "بديع الزمان" وقد احتفظ لنا القالي تلميذه بعدد وافر من هذه القصص والأخبار مضمنة في الأمالي.

أما الشعر، فقد كان ابن دريد نفسه واحداً ممن سلست لهم ألفاظه، وتزاحمت على خواطرهم أفكاره ومعانيه، فسموه لذلك (أعلم الشعراء وأشعر العلماء وقد ترك لنا ديواناً طرق به كل الأغراض "مدح ووصف وافتخر ورثى وتغزل ثم سلك به غير هذه المسالك إذ له في (الشعر) التعليمي باع طويل، طوع له الألفاظ والقوافي. ففي هذا الغرض نظم (المقصور والممدود)، (المذكر والمؤنث) بالإضافة إلى مقصورته التى طارت شهرتها وعارضها الشعراء وشرحها غير واحد من العلماء وأشهرهم: أبو عبد ا محمد بن هشام اللخمي السبتي. والأمثلة كثيرة على رقيق شعره، الذي

---

(1) أبو عليّ القالي وأثرهُ ص 62 وانظر: طبقات الزبيدي ص 183

(2) المصدر نفسه– ص 62

أتى القالي على جملة وافية منه، ضمنها أماليه، مما رواه عنه مباشرة في مجالسه العامة، أو خصه بإنشاده دون غيره.

ويظهر أن القالي كان بيده كثير من هذه الأشعار، فكان يقرؤها عليه مصححا. قال أبو علي: (وحدثني أبو بكر بن دريد قال: خرجنا من عمان في سفر لنا فنزلنا في أصل نخلة، فنظرت فإذا فاختتان تّزقُوان[1] في فرعها فقلت:

-أقول لورقاوين في فرع نخلة

وقد طَفّل الإمساء، أو جنح العصر

-وقد بسطت هاتا لتلك جناحها

ومال على هاتيك من هذه النحر

-ليهنَكما أن لم تْراعا بفرقة

وما دب في شتيت شملكما الدهر

-فلم أر مثلي قطع الشوق قلبه

على أنه يحكي قساوته الصخر

وهنالك أبيات أخرى ذكرها القالي لشيخه ابن دريد في الأمالي[2].

وقال المسعودي عنه: (وكان يذهب بالشعر كل مذهب فطوراً يجزل وطوراً يرق، وشعره أكثر من أن نحصيه)[3].

ولعله يشبه عند مترجميه بخاف الأحمر في اقتداره على العلم والشعر معاً فكلاهما عالم باللغة والأخبار والأشعار، قادر على أن ينتحل فيها ما شاء.

قال أبو الطيب اللغوي في مراتبه: (وما ازدحم العلم والشعر في صدر احد ازدحامها في صدر خاف الأحمر وأبي بكر بن دريد..)[4].

---

[1] تَزْقوُان: أي تصيحان

[2] انظر الأمالي ، ج1 ، ص 79

[3] مروج الذهب للمسعودي – أبو الحسن على بن الحسين، تحقيق ودراسة عمر بن سالم – 1973م ط2 ج2 ص 553

[4] أبو علي القالي وأثره – ص 63 انظر: اللآلي للبكري – ج1 ص 412

وقد كان ابن دريد – فيما يروي القالي متعصبا لخلاف الأحمر، مفضلا له على الأصمعي وكان أبو علي على نقيض ذلك.

وكانت مادة الشعر هي أهم ما استفاده القالي من شيخه بعد القصص والأخبار.

- اهتمامه بالشعراء عدد غير قليل، منهم جميل وكثير والأعشى وغيرهم كأستاذه ابن دريد:

فقد روى عنه شعر الأعشى، وشعر كُثير، وشعر كعب الغنوى، وشعر قيس بن الخطيم، وأشعار هذيل وشعر جميل، ومعن بن أوس، وأبي النجم، وغيرهم[1]. ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو علي القالي في أماليه: قال وحدثنا ابن الأنباري قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوى قال: أراد الفضل بن يحيى أو جعفر بن يحيى سفرا، فقال: قاتل ا جميلاً، ما أشعره حيث يقول[2]:

-لما دنا البين بين الحي واقتسموا

حبل النوى فهو في أيديهم قِطَع

-جادت بأدمعها ليلى وأعجلنى

وشْك الفراق فما أُبْقِى وما أدع

يا قلب ويحك ما عيشْى بذي سلمٍ

ولا الزمان الذي قد مر مرتَجع

أكُلّما بان حي لا تلائمهم

ولا ينالون أن يشْتاق من فَجعوا

يقول القالي "وقرأت هذه الأبيات في شعر جميل على أبي بكر بن دريد، مكان فما أبقِى فما أبكى، ومكان عيشِى، عيشُ.

---

(1) الامالي ، ج1، ص 124

(2) المصدر نفسه ص – انظر ديوان جميل ص 90

- ومثال آخر لاهتمامه بالشعراء منهم كثير قال أبو علي: وقرأت هذه القصيدة على أبي بكر بن دريد في شعر كُثير وهي منْتَخَبات شعر كثير وأولها[1]:

خلِيلى هذا ربع عزة فاعِقلا

قَلُوصيكُماُ ثم ابكيا حيثُ حلّت

ويروى:

خليلى هذا رسم عزة فاعقلا

قَلُوصيكُماُ ثم انْظرا حيث حلّت

وما كنتُ أدرى قبل عزة ما الهوى

ولا موجِعات[2] الحزن حتى تَولّت

...إلى قوله:-

وكانت لقْطِع الحبل بيني وبينها

كناذِرةٍ نَذْراً فأوفَتْ وحلّت

ويروى:

وفَتْ فأحلت.

قال أبو علي قيل لكثير: أنت أشعر أم جميل؟ فقال بل أنا، فقيل له: أتقول هذا وأنت راويته؟ فقال: جميل الذي يقول:

رمى ا ُ في عينَي بثَينْة بالقَذَى

وفي الغُر من أنيابها بالقَوادح

وأنا أقول:

هنيئا مريئا غير داء مخَامرٍ

لعزة من أعراضِنا ما أستحلتِ

---

[1] ديوان كثير عزة – جمع وشرح احسان عباس – دار الثقافة بيروت 1971م

[2] المشهور في هذا البيت : ولا موجعات القلب، فان صح ما هنا فلعله رواية أخرى – الأمالي القالي ج2 ص 108

فوا ـِ ما قاربتُ إلاّ تباعدت

بصرمٍ ولا أكثرتُ إلا أقلّت

ويروى: ولا استكثرت.

وأول مجاس حضره القالي لابن دريد، هو المجلس الذى وجده فيه بصدد إملاء شرح لكلمة لغوية قال أبو علي: ... أعلاق: أشد مرارة، وهذه الكلمة أول كلمة سمعتها من أبي بكر بن دريد. دخلت عليه وهو يملي على الناس: العرب تقول: هذا أعلاق من، أي أمر منه...[1]

ثم توالت الحلقات التي يحضرها القالي، حتى أصبح له ظلا ملازما في الحالات كلها... وكانت حصيلة هذه الملازمة روايات وأسماعا وإفادات ومعرفة واسعة بمعاني الشعر، ومحفوظاً ضخماً من الألفاظ واللغويات وفوق ذلك حساً وذوقاً لطيفين، وأثر هذا الحس والذوق واضح في اختيارات القالي الشعرية بأماليه.

ومما رواه عنه القالي من الكتب على سبيل المثال: كتاب الأبواب – الصفات- كتاب خلق الإنسان ، وهي للأصمعي -كتاب النوادر، كتاب المتناهي في اللغة وهما لابن دريد وغير ذلك كثير في جملة الكتب التي أدخلها أبو علي إلى الأندلس.

وقد كان القالي مثال التلميذ المخلص، معترفاً بفضل شيخه، وسعة علمه. وأسمعه يقول في الثناء عليه في كتاب "المقصور والممدود"، بعد أن أورد جملة أحرف رواها عنه: "قال أبو علي: "ولم نفرد هذه الحروف لأنا اتهمنا الراوي لها، وأنى يكون ذلك، ومن علمه استملينا، وفى بحره كرعنا، وكان هو إمام هذا العلم في عصره، ومنقطع القرين فيه في دهره"[2].

وقد كان أبو علي مغرماً بتتبع خطواته، وتسجيل محاضراته (أي محاضر جلساته) وما يدور فيها من نقاشْ وحوار، وفي ذلك يقول أبو علي[3]: (سمعت ابن

---

[1] الأمالي – ج11 – ص 283

[2] المقصور والممدود – أبو علي القالي – ص 228 النسخة المغربية

[3] الأمالي – ج2 – ص 117

خير الوراق، وقد سأل أبا بكر بن دريد فقال له: مِم اشتُق العقْلُ ؟ فقال: من عِقَال الناقة، لأنه يعقِل صاحبه عن الجهل أي يحبسه، ولهذا قيل: عقَلَ الدواء بطنه أي أمسكه...، قال: فمم اشتُق اللّحد؟ قال: من قولهم: لَحد إذا عدل، لأنه عدل إلى احد شقى القبر، قال: فمم اشْتُق الضريح؟ قال: هو بمعنى مضروح كأنه ضرحه جانباه أى دفعاه فوقع في وسطه.

وقال القالي قرأت على أبي بكر بن دريد من شعر الحطيئة[1]:

-وإن التى نكبتُها عن معاشر

علَى غِضابٍ أن صددتُ كما صدوا

-أتت آل شَماس بن لأي وإنما

أتاهم بها الأحلام والحسب العد

-فإن الشقي من تعادى صدورهم

وذو الجد من لانو إليه ومن ودوا

قال أبو علي: الحسب: الشرف

والعد: القديم، ويقال بئر عِد إذا كانت لها مادةُ من الأرض[2].

فالفضل يعود للقالي في حفظه لبعض أخبار شيخه ابن دريد، وسيرته في بغداد، ولاسيما في آخر لحظات حياة أستاذه والتي أقعده فيها الفالج. واعجب للهفة أبي علي، وشدة حرصه على ما في يد شيخه من العلم، حين تراه[3] يكثر من التردد عليه وهو طريح فتؤلمه حاله، ويشفق من ألمه وصياحه، ولا يمنعه الأمر كله من سؤاله عن شكوكه في اللغة.

قال أبو علي: "وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة وهو بهذه الحال فيرد بأسرع من النفس بالصواب. وقال لي مرة وقد سألته عن بيت شعر، فأجابني: يا بني. لئن

---

[1] انظر: ديوان الحُطيئه – دار صادر بيروت ، شرح أبي سعيد السكرى، 1967م ص 79

[1] الأمالي ، ج2 ، ص 118

[2] أبو علي وأثرهُ ص 65

طفئت شحمتا عيني لم تجد من يشفيك من العلم... قال أبو علي: وآخر شئ سألته عنه، جاوبني أن قال: يا بني: حال الجريض دون القريض. فكان هذا الكلام آخر ما سمعته منه. وكان قبل ذلك كثيراً ما يتمثل:

فواحزني ألا حياة لذيذة

ولا عمل يرضى به ا صالح(1)

هكذا نلاحظ أن شخصية أستاذه ابن دريد شخصية ماثلة بكل ظلالها، وواقعة بكل ثقلها العلمي والأدبي في جميع ما نقرأه للقالي من كتب ومرويات فما رواه القالي عن شخصه من أخبار وأشعار يفوق بكثير ما أخذه عنه من اللغة.

هكذا خلف ابن دريد جملة من كبار العلماء ومشاهير أهل اللغة والأدب، من أمثال أبي الفرج الأصفهاني. وأبي عبيد ا المرزباني، وأبي سعيد السيرافي ، وأبو القاسم الآمدى، وأبي حفص بن شاهين وغيرهم وهم من الأعلام البارزين في القرن الرابع.

كما ترك ابن دريد ذخيرة من الكتب منها: الجمهرة – الملاحن – السرج واللجام – الاشتقاق – الأنواء – المقتبس – الوشاح...الخ.

ومن هذه الكتب ما رواه القالي وأدخله معه الأندلس، فأذاعه هناك كالنوادر والملاحن، والمقصورة... ومنها ما نظن أنه ترك أثره على مصنفاته في اللغة والأدب، إذ نجد له شبيها في الاسم عند القالي "كفعلت وأفعلت" – و"النوادر"... ومنها ما نلمس أثره بوضوح كالجمهرة، فهو لغوي، قصد به صاحبه تهذيب كتاب العين(2).

مات أبو بكر بن دريد سنة (321هـ) ، فبكاه الشعراء وافتقده العلماء. وقد ختم القالي نوادره بقصيدة طويلة لبعض البغداديين في رثاء أبي بكر بن دريد، ضمنها

---

(1) وفيات الأعيان – لابن خلكان – ج4 – ص 326

(2) أبو علي القالي وأثرهُ – ص 66

كل خصائصه وصفاته وكانت آخر ما جمعه القالي وآخر ما أملاه في الأندلس من كتابه الأمالي والقصيدة طويلة يقول فيه:

*قصيدة رثى بها أبو بكر بن دريد لبعض البغداديين يقول فيه[1]:

-يلوم على فرط الأسى ويفند

خَلي من الوجد الذي يتجدد

-ويكْبرِ أن ينْهل دمع أراقه

تَضرم نار في الحشا ليس تْخُمد

حتى يقول:

حرام على الأجفان أن تَرد الكِرى

أجلْ مالها إلا التشهد مورد

فما لُجفوني عِذْرةُ حين تَرقُد

ولا لدموعي سلْوة حين تَجمد

هو الدهر يرمينا بأسهم صرفه

فَيصمِى الرمايا حين يرمى ويقُصد

*فلا جمع الاّ والزمان مفَرق

ولا شَمل إلا بالخُطُوب مبد

حتى يقول:

-عليك أبا بكر سلام ورحمةُ

بها في جِنَان الخلد أنتَ مخلد

-فَقْدنَاك فِقْدان المصابيح في الدجى

إذا ضل عن قَصِد الهداية مقْصد

(1) الأمالي ج2 ص 222

- وماتت بموت العلم منك قلوبنا

وكنت حياها لم تزل بك تَرشُد

- لتُبْك أبكار المعاني وعونَها

وغُر القَوافي حين تْروى وتُنشْد

ثم يذكر أنه بفضل العالم الجليل ابن دريد تعرفوا على كبار العلماء كالخليل والأصمعي – والمازني والمبرد.

فهو يقول: -

- لأنْشْرتَ بالعلم الخليلَ فَخِلْتنا

نُشَاهد إن ضمنا منك مشْهد

- وجألستَنا بالأصمعى ومعمرٍ

وأوجدتنا ما لم يكن قبلُ يوجد

- وخَِلنْا أبا زيد لَدينا ممثّلا

وأنت بفضل العلم أعلى وأزيد

- وشاْهدتَنَا بالمازني وعلمه

وما غاب عنا إذَ حضرتَ المبرد

- وكنت إماما في الروايات كلها

يضاف إليك الصدق فيها ويسنَد

- هوتْ أنجم الآذان والعلم واغْتَدت

رياضهما من بعده وهي همد

حتى يختم بقوله:

- فما منك معتاض ولا عنْك سلْوة

نَظيرك معدوم وحزنى مؤبد

- عليك سلام ا   ما ذَر شارقٌ

وغرد فى الأيك الحمام المغرد.

كما تأثر القالي بكثير من العلماء واستفاد منهم من أمثال، شيخه أبو بكر بن القاسم بن بشار الأنباري.

- وشيخه أبو عبد ا   إبراهيم بن محمد بن عرفه المعروف (بنفطويه).

- وشيخه أبو بكر محمد بن السرى السراج.

- وأبو بكر أحمد بن الحسن بن شقير النحوي، وأبو اسحاق الزجاج.

- وأبو الحسن على من سليمان الأخفش الصغير.

- وأبو بكر محمد بن أبي الأزهر، وابن درستوية

- وأحمد بن عبد ا   بن مسلم بن قتيبة

- هذه جملة من شيوخ القالي الذين أتى أبو بكر الزبيدي على ذكرهم في العلوم المختلفة وهم ثمانية وعشرون أستاذاً [1]، غير أن ذلك بالطبع ليس هو مجموع شيوخه الذين لقيهم ببغداد في حقبة طويلة تقارب ربع قرن من الزمان. أما باقي أساتذته فقد جاء ذكر بعض أسمائهم عند ذكرنا لشيوخه، أما باقى أسمائهم فقد جاء ذكرهم في كتاب الأمالي، وقد كانت ثقافتهم لغوية وأدبية، لذلك يمكن ضمهم إلى شيوخ القالي في اللغة والأدب.

---

[1] طبقات الزبيدي – ص 111

الباب الثاني

الفصل الأول

الظواهر الأدبية أو المادة الأدبية في الأمالي

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الأشعار والشواهد في الأمالي

المبحث الثاني الشعر وموضوعاته:

1/ الغزل

2/ الرثاء

3/ المديح ومكارم الأخلاق

4/ الهجاء

5/ أراجيز العرب

6/ موقف القالي من الشعر المحدثِ

7/ أدب القالي وشعره

المبحث الثالث: نصوص أخرى:

1/ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة

2/ القصص والأخبار

3/ الأمثال

4/ رسائل وخطب العرب

5/ الأخبار التاريخية الهامة

6/ الطرفة والملحة للتسلية

مقدمة :

على الرغم من الميل الواضح إلى الشعر "المحدثِ" في القرن الرابع ظل مذهب العرب نداً له، ينظم الشعراء على نهجه إلا أنه ران عليه بعض الركود، فأخذ يستمد مناصرته من الدراسات اللغوية، وشروح الشعر الجاهلي والإسلامي، ومن تمكنه في ملكات الشعراء[1]، وقد بات الأمر كذلك حتى دخل القالي قرطبة سنة 330هـ.

نقل أبو علي القالي معه مجموعة شعرية ضخمة بلغت سبعة وسبعين من الدواوين...

(1) فمن الدواوين الجاهلية :

- ديوان النابغة الذبياني،

- علقمة بن عبده التميمي	المرقشان
- الأعشى ميمون بن قيس	- الحارث بن حِلزة
- عروة بن الورد	- لبيد بن ربيعة
- المثقب العبدي	- سلامة بن جندل
- مالك بن الريب المازني	- قيس بن الخطيم
- أوس بن حجر التميمي	- امرؤ القيس
- الأفوة الأودي	- دريد بن الصمة
- زهير بن أبي سلمى	- طرفة بن العبد
- عبيد بن الأبرص	- عنترة بن شداد
- بشر بن أبي خازم	- المتلمس

[1] تيارات النقد الادبي في الأندلس – في القرن الخامس الهجري – د. مصطفى عليان عبد الرحيم – مؤسسة الرسالة بيروت 1978م ص 20 وانظر النقد الأدبي في الأندلس – د. احسان عباس – الجزء الرابع ص 510 سنة 1959م

(2) ومن المخضرمين والإسلاميين:

- ديوان الخنساء - الحطيئة
- معنى بن أوس - النابغة الجعدي
- عدى بن زيد - زيد الخيل
- سحيم عبد بني الحسحاس - حميد بن ثور الهلالي
- ذو الرمة - توبة بن الحِمير الخفاجي
- العجاج بن رؤبه - وابنه رؤبه بن العجاج
- الراعي - ليلى الأخيلية
- جميل بن معمر - عمرو بن أحمر الباهلي
- حسان بن ثابت - الأحوص
- مزاحم العقيلي - الفرزدق – جرير – الأخطل
- كعب بن زهير - عمر بن أبي ربيعة[1]

(3) ومن الشعراء المحدثين: شعر أبي نواس جزء من شعر أبي تمام حبيب بن أوس، شعر أبي الطيب المتنبي، شعر ابن المعتز وترسيله وفصوله وشعر الصنوبري[2].

- وقد اختار من القصائد عيونها، فحمل معه قصيدة عمرو بن كلثوم – وقصيدة لقيط بن معمر الأيادي ، مقصورة ابن دريد – والمربعة لابن دريد
- قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام
- قصيدة الفرزدق "هذا الذي تعرف البطحاء وطأته..."
- القصيدة اليتيمة لذي الرمة ، (هل بالطلول لسائل رد)

وكان هذا الشعر مما قرأه موثقاً على نفطوية وابن دريد من شيوخه وأساتذته.

---

(1) فهرسة ابن خير ، ص 395-396

(2) المرجع نفسه – ص 404 - 405

-حمل من كتب الأخبار ثمانية وعشرين جزءاً من أخبار نفطويه، وأخبار ابن الأنباري وخمسين جزءاً من أخبار ابن دريد والأخبار المنثورة للصولي، وكتاب الآداب لابن المعتز والأمالي لنفطويه[1].

وفى هذه القائمة يتبدى ميل أبي علي القالي إلى طريقة العرب إذا ما قيست دواوين القدماء من جاهليين وإسلاميين بدواوين المحدثين الذين أعمل الاختيار فيما يبدو في شعرهم، فلم يحمل إلا لذوي الاتجاه القديم المحدث في الغالب. ولا عجب في ذلك فهو تلميذ للرواة المشارقة الذين وقفوا من الشعر المحدث موقفاً عنيفاً وحذراً، وقد نوه القالي باتجاهه بقوله: "إن علمي علم رواية وليس بعلم دراية فخذوا عني ما نقلت"[2].

وإذا كان القالي صاحب منهج فيما حمله من كتب وقصائد فإنه رغب في أن تكون محاضراته لبنات في تدعيم مذهب العرب مع عدم التنكر لطريقة المحدثين.

ومما يلفت نظر الباحث في كتاب الأمالي هو احتواؤه على مجموعة من الموضوعات الأدبية المتشعبة التي تحتوي على الأشعار والقصص والأخبار والأمثال والخطب والرسائل والآيات والأحاديث والحكم والعظات، وسنتناولها بشئ من الاختصار جهد الإمكان.

أولا: الأشعار: إن الأشعار الواردة في الأمالي تحظى بالقسمة الكبرى بالقياس إلى موضوعات النثر، وبإمكان الباحث أن يجعلها صنفين كالتالي:

(1)صنف الأشعار والشواهد: وهي التي لم تقصد في ذاتها لغاية فنية أو جمالية، وأنما قصد بها الاستدلال والاحتجاج اللغوى، على قضايا الشاذ والغريب من الألفاظ والتعابير، فهي مما يكثر دورانه في كتب اللغة والنوادر، ويتمثل الصنف في أبيات مفردة، وأنصاف أبيات، لشعراء ورجاز من العصر الجاهلي والإسلامي، ممن يصح

[1] فهرسة ابن خير – ص 455
[2] الذخيرة لابن بسام ص 4

الاستشهاد بأقوالهم، فإذا نحن وصفنا هذا النوع من الشعر بالجفاف والعقم، واتهمنا به القالي الأديب في ذوقه، كنا بذلك ربما أنصفنا الأدب والأدباء ذوي الأذواق الرقيقة الذين لا يقنعون إلا بشعر يحرك وجدانهم، ويهز عواطفهم. ولكننا أيضاً سنكون قد ظلمنا القالي اللغوي الذي لم يكن يرضى بغريب أو نادر إلا وعليه شاهد أو مثال، وتجنينا على طريقة عصره التي لم تكن تقبل دراسة اللغة إلا وهي معززة بالشواهد، موثقة بالأدلة[1].

وهذه طريقة ذلك العصر وكان لابد للقالي أن يسير على نهجهم وطريقتهم، كما أن هنالك من الأبيات الشعرية التي يستشهد بها القالي تكون قائمة على معنى متكامل يتذوقه الأديب ويستشعر جمالها وتكون بذلك قد أدت الفائدة من التذوق والدراسة.

ونستشهد بذلك عند حديثه عن مطاب الكلام وشرح مادة نسأ[2] وقوله تعالى (ما نَنسخْ)[3].

جاء النّساء: التأخير يقال بِعتُه بِنَسا وبنَسِيئة، أي بتأخير استشهد ببيت لابن جزل الطعان عمير بن قيس الكناني:

-ألسنَا الناسِئين على معد

شُهور الحِل نَجعلها حراما

وبيت آخر للكميت قوله في الفخر

-وكنّا الناسيئن على معد

شهورهم الحرام إلى الحليل

فنلاحظ: هنا استشهاده بأبيات متكاملة المعنى واضحة.

---

(1) أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية ص 235

(2) الأمالي ج1 ص 4

(3) الآية 106 من سورة البقرة

وعند شرح مادة (لحن) وقوله تعالى:(ولَتَعرِفَنهم فِي لَحن الْقَول) [1] أي في معنى القول أنشد بيت للقتّال اِلكلابي[2]:

ولقد لَحنْتُ لكم لكيما تفهموا

ووحيتُ وحياً ليس بالمرتّاب

وعندما شرح مادة (ع، ر، ض)

فقال والعِرض: ما ذُم من الإنسان أو مدِح ، فيقال فلان طيب العِرض، وفلان منْتِن العِرض، أي هو برئ من أن يشْم أو يعاب واستشهد[3] بقول مسكين الدرامى:

رب مهزولٍ سمِين عِرضه

وسمِين الجسم مهزول الحسب

ومعناه: رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء وسمين الجسم مهزول الحسب أي ضعيف الشرف...إلخ[4].

والأمثلة على ذلك كثيرة في الأمالي وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

(2)أما الصنف الثاني من الأشعار، يتمثل في مقطعات وقصائد- لا في أبيات مفردة- فقد تطول القصيدة حتى تزيد على الأربعين، كما في قصيدة كُثير يقول القالي وقرأت على أبي بكر بن دريد لكُثَير[5]:

-ألا حييا ليلى أجد رحِيلي

وآذَن أصحابي غَداً بقُفُول*

-تَبدتْ له لَيلَى لتذهب عقْله

وشَاَقتْك ُأم الصلْت بعد ذُهول

(1) الآية 30 من سورة محمد

(2) ديوان، القتّال الكلابي، تحقيق احسان عباس دار الثقافة – بيروت 1989م

(3) الأمالي ، ج1 ص 118

(4) المصدر نفسه ج1 ص 119

(5) ديوان كُثيرّ ، ص 67

* بقفول : برجوع ، والقافلة الراجعة من سَفَر

وروى أبو عمرو الشيباني:

"تَبدت له ليلى لِتغْلِب صبره"

ثم يقول:

أُريد لأنْسى ذِكرها فكأنما
تَمثّلُ لي لَيلَى بكل سبيل

إذا ذُكِرتْ ليلى تَغشّتْكَ عبرةُ
تُقل بها العينْان بعد نُهول

وكم من خليل قال لي هل سألتَها
فقلت له لَيلَى أضن خَلِيل

وأبعده نَبلاً وأوشكُه[1] قِلى
وإن سئِلتْ عرفاً فَشَر مسول

حلَفْتُ برب الراقِصاتِ إلى مِنَى
خِلالَ الملا يمددن كلّ جِديل

إلى أن يقول:

-يمين امرئٍ مستَغْلِظٍ من أليةٍ[2]
ليكْذب قيلاً قد أَلح بِقِيل

-لقد كَذَب الواشون ما بُحتُ عندهم
بِلَيلى ولا أرسلْتُهم برسيل

ويروى: برسول

والرسول والرسِيل: الرسالة هاهنا[3]

---

[1] وأوشكه: أسرعه
[2] والألية: اليمين
[3] الأمالي ج2 ص 63

ويقول: فإن جاءك الواشون عني بكذبةٍ

قَروها ولم يأتوا لها بِحويل[1]

فلا تَعجلي يا لَيلَ أن تَتَفهمي

بنُصح أتى الواشُون أم بِخُبول[2]

إلى أن يقول:

لقد أكثر الواشُون فينا وفيكم

ومالَ بنا الواشُون كل مميِل

وما زلْتُ مِن لَيلَى لَدن طَر شاربي

إلى اليوم كالمقْصى بكل سبيل

والقصيدة تزيد على الأربعين وهي من أجمل القصائد. وهنالك من القصائد ما يزيد على الخمسين والستين، كما في قصيدة قيس بن ذريح[3]، وأبي صفوان الأسدى[4] ولامية الشنفرى[5].

وقصيدة ابن ذريح من أطول القصائد قال أبو علي وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري: قال أنشدنا محمد بن المرزبانى لَقْيس بن ذَريح قوله:

- عفَا سرفُ من أهله فُسراوِع

فَجِنْبا أرِيك فالتَلاع الدوافُع

فغَيقةُ والأخْيافُ أخيافُ ظبية

بها مِن لُبينى مخْرفُ ومرابِع

---

[1] الحويل: المحاولة

[2] الخُبُول: جمع خبل ، وهو الفساد

[3] الأمالي ج2 ص 315

[4] نفس المرجع ص 237

[5] نفس المرجع ص 203

حتى يقول:

وما مِن حبيبٍ وامقٍ لحبيبه

ولا ذى هوى إلاّ له الدهر فاجع

وطار غُراب البين وانْشقت العصى

ببينٍ كما شَقّ الأديم الصوانع

ثم يقول:

فما أنا إن بانَتْ لبينَى بهاجعٍ

إذا ما استقَلتْ بالنيام المضاجِع

وكيف ينام المرء مستَشْعِر الجوى

ضجِيع الأسى فيه نكاس روادِع

فلا خَير في الدنْيا إذا لم تُواتِنا

لُبينَى ولم يجمع لنا الشملَ جامع[1]

قال أبو علي: في شرح الغريب سرفُ وسراوع وأَريك: مواضع. والتلاع: واحدها تلعة وهي مسِيل ما ارتفع من الأرض إلى بطن الوادي.. والدوافع: جمع دافعة وهي التي تَدفَع الماء. وأَخيافُ ظَبية: موضع. والمخْرفُ: المنزل الذي يقيم فيه في الخريف، وجمعه مخَارف، والمربع: المنزل الذي يقيم فيه في الربيع، وجمعه مرابِع، وانْشَقت العصا أي: تفرقت الجماعة، والعصا: الجماعة.

والنوى: النية. والمستشعِر: الذي لبس شعاراً وهو الثوب الذي يلي الجسد. والحوى: الهوى الباطن.

والأسى: الحزن

(1) الأمالي ج2 ص 317

ونكاس: جمع نُكْسٍ، ورواِدع: جمع رادعه: وهي التي تَردعه عن الحركة والتصرف.

أما قصيدة أبي صفوان الأسدى تسمى مقصورة أبي صفوان قال أبو علي وقرأتُ على أبي عمر في نوادر الأعرابي قال أنشدنا يحيى بن الأعرابي لأبي صفْوان الأسدى[1]:

نأَتْ دار ليْلى وشَط المزار

فَعيناك ما تَطْمعان الكَرى

ومر بفُرقَتها بارح

فصدقَ ذاك غُراب النّوى

ثم يقول:

وقد شاقَني نَوح قُمريةٍ

طَروبِ العشاءِ هتوفِ الضحى

من الورق نَواحةٍ باكَرتْ

عسِيب أَشَاءٍ بذات الغَضى

فَغَنْت عليه بلحنٍ لها

يهيج للصب ما قَد مضى

يقول القالي في شرح الغريب، نَأتْ: بعدت فالنائي: البعيد، وشَط: بعد، الكَرى: النّوم: ومر بفُرقَتها بارح، قال أبو عبيد: سأل يونس روبةَ وانا شاهد عن (السانح، والبارح) فقال: السانح: ما ولاّك مياِمنَه. والبارح: ما ولاك مياسِره، وقال غيره: السانح: ما مر على يمينك، والبارح: ما مر على يسارك، وأكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشاءم بالبارح...الخ

والنّوى: البعد، وشاقِني: شَوقني، لا فق بينهما على المبالغة والتكثير.

[1] الأمالي ج2 ص 237

والورقَ: جمع أورقَ: والورقة: لون الرماد

والعسيب: السعفُ وجمعه عسب

والأشَاء: الصغَار من النخل، واحدتها َأشاءةُ[1].

والقصيدة تزيد على الستين بيتاً يصف فيها فرسه ورحلته إلى الصيد.

أما لامية الشنْفري[2]: فهي تزيد على الخمس وستين بيتاً وقال فيها:

-أقِيموا بِني ُأمى صدور مطيكم

فإنى إلى أهلٍ سواكم لأميلُ

-فقد حمتِ الحاجاتُ والليل مقْمِر

وشدت بطياتي مطايا وأرحلُ

وفي الأرض منْأى للكريم عن الأذى

وفيها لمن خَاف القِلى متَعزل

لَعمرك ما بالأرض ضيق عن أمرى

سرى راغبا أو راهبا وهو يعقِل

والقصيدة من القصائد الطوال يزيد عدد أبياتها على النيف وستين بيتاً.

وغيرها من القصائد والمقطوعات الشعرية التي امتازت بالطول كما في قصيدة عبد ا بن سبرة التي قالها وقد قطعت يده في غزوة الروم فقال يرثْيها:

- ويلُ ُأم جارٍ غداةَ الروع فارقني

أهون على به إذ بات فاثقلها

-يمنى يدي غدت منى مفارقة

لم استطع يوم فلطاس لها تَبعا

---

[1] الأمالي ج2 ص 242 وانظر الذيل والنوادر- لابي على إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان بدون تاريخ ج3 ص 203

[2] ديوان الشنفري ص 88

-وما ضنْنِت عليها أن أصاحبها

لقد حرصت على أن نستريح معا

-وقائل غاب عن شأى وقائلةٍ

هلا اجتنبت عدو ا إذ صرعا

والقصيدة طويلة يرثى الشاعر فيها يده في غزوة من غزواته. والقصائد التي أوردها القالي اختار منها مختارات شعرية من قصائد طوال كالقصيدة سابقة الذكر.

وأيضا قصيدة ذي الأصبع العدواني[1]، والسموؤال بن عادياء[2]. ومقصورة أبي صفوان الأسدي[3] وقصيدة صخر الغي الهذلي[4].

وتتباين أهداف هذه القصائد فمنها ما كان غرضه فيها البطولة النادرة والحماسة الرفيعة في مكارم الأخلاق كقصيدة عبد ا بن سبرة والسموؤال، ومعن بن أوس، وذي الأصبع، ومنها ما قصد فيه إلى الشعر ذي الأبيات السائرة كقصيدة جحدر التي قالها حين حبسه الحجاج. قال القالي وأنشدنا أبو بكر عن الأشناندانى لجحدر وكان لصاً مِبراً* فأخذه الحجاج فحبسه فقال في الحبس:

-تأوبني فَبِت لها كَنِيعاً*

هموم ما تُفَارقني حواني

-هي العواد لا عواد قومي

اطَلْن عِيادتي في ذا المكان

-إذا ما قلتُ قد َأجلَين عنّي

ثَنَى ريعاَنهن على تاني

---

(1) انظر الأمالي الجزء الأول ص 225

(2) الأمالي 269/1

(3) الأمالي 237/1

(4) الأمالي 1/ 284 -285

* المبر: الغالب

* الكنيع: المنقبض

-وكان مقَر منْزلهن قلبي

فقد أَنْفَهنُه* والهم آنى

-أليس ا يعلم أن قلبي

يحِبّك أَيها البرقُ اليماني

إلى أن يقول[1]:

-فيا أَخَوى من كعبٍ بن عمرو

أقِلا اللّوم إن لم تنفعاني

-إذا جاوزتما سعفاتَ حجرٍ[2]

واودية اليمامة فانْعياني

-وقولا جحدر أمسى رهِينا

يحاذِر وقْع مصقول يماني

-يحاذر صولَة الحجاج ظُلْما

وما الحجاج ظَلام لِجاني

-وهنالك قصائد رمى القالي من ورائها إلى هدف تعليمي لغوي كقصيدة أبي صفوان الأسدي وصخر الغي الهذلي، إذ اشتملت هاتان القصيدتان على ألفاظ غريبة ومعان وصفات نادرة. ومن القصائد ما اجمع أصحاب الذوق من شيوخ القالي على اختيارها كما في قوله عن قصيدة كُثير:

"وقرأت هذه القصيدة على أبي بكر في شعر كُثير وهي من منتجات شعره وأولها:

خَلِيلي هذا ربع عزة فاعقلا

قلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حلّتِ

---

* وانفهنه: أعيننه

[1] الأمالي ج1 ص 282-283

[2] حجر: قصبة باليمامة

وقد سبقت الإشارة إلى القصيدة في هذا البحث.

وعلى ما في اختيار هذه القصائد من أهداف متباينة إلا أنها تخدم هدفاً محدداً وهو تعريف الأندلسيين بأدب المشارقة وصقل مواهبهم وتربية أذواقهم، وتفتيحها على مذهب العرب في هذه القصائد[1].

ولم يكن الشاعر ليعنيه في هذا المختارات بمقدار ما كان الشعر الجيد هو الذي يعنيه ويهمه وكذلك فلم يحظ شاعر بعينه في دروسه، وإن حظيت بعض الأغراض باهتمامه، وذلك أن الاهتمام بشاعر محدد إنما يعكس عصبية نظرة محدودة من شأنها أن تجعل أمر تذوق الشعر الجيد وصقله ضيقاً[2].

---

[1] تيارات النقد الادبي في الأندلس – ص 23

[2] تيارات النقد الادبي في الأندلس - وانظر: الذوق الأدبي – لأرنولدبينت – ترجمة على الجندي مكتبة النهضة مصر 1957م ص 25

المبحث الثاني
الشعر وموضوعاته

تشمل:

1/ الغزل

2/ الرثاء

3/ المديح ومكارم الأخلاق

4/ الهجاء

5/ أراجيز العرب

6/ موقف القالي من الشعر "المحدث"

7/ أدب القالي وشعره

خص القالي تلامذته بغرضين شعريين استأثرا باهتمامه أحدهما: الغزل وثانيهما الرثاء.

أ و لا : الـغـز ل :

امتاك العذريون عليه مناحي ذوقه فأكثر من مقطوعاتهم وقصائدهم، فأملى لجميل- ولكُثير – والمجنون – وقيس بن ذريح – ولتوبة بن الحمير – وابن الدمينة ولنجبة بن ضارة العذري، وقد أولى جميلاً – وكثير عناية خاصة في اختيار مطولات شعرية لهما[1].

فهل قصد القالي بذلك عطف مسيرة الغزل الأندلسي الذي غاب عليه التيار الحسي بما غذّته البيئة الأندلسية بطبيعتها الفاتنة وثرائها الوفير[2].

أن المعقول أن يقصد إلى التأثير الوجداني والتلاوين الجمالي المتذوق، خاصة أن شعر العذريين يحقق خاصية الإخلاص الفني من أمانة وصدق ودقة تعبيرية. وهي لوازم شعرية لإحداث التأثر والتأثير، وإحياء المشاركة في عواطف المتلقي والمتذوق[3].

والدليل على ذلك ما اختاره القالي من شعر غير العذريين إذ راعى في ذلك ما يحقق التوهج النفسي في العاطفة من حرقة وشوق ويجرى على الطبع ويشاكل غرضه ويوافق قصده، فأورد لعمر بن أبي ربيعة ما كان مجافياً للتجسيم ومنافياً للتجسيد[4] من ذلك ما ذكره القالي لعمر بن أبي ربيعة قوله[5]:

-هل تَعرف الدار والأطلال والدمنا

زدن الفؤاد على عِلاتِه حزنا

---

(1) انظر الأمالي – شعر جميل – الصفحات ج1 [124، 168 ، 183، 202، 203، 216- 272] وج2 [49، 74، 82، 99]

(2) تيارات النقد الأدبي – ص 24

(3) الذوق الأدبي – ص 31

(4) انظر: الأمالي ج2 ص 19، 24، 39، 305، 309

(5) ديوان عمر بن أبي ربيعة – شرح د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل بيروت ، ط1 1992م ص 87

-دار لأسماء قد كانت تَحل بها

وأنتَ إذ ذاك قد كانت لكم وطَنا

لم يحِبب القلى شيئا مِثْلَ حبكُم

ولم تَر العين شيئا بعدكم حسنا

-حتى يقول فيها:

أن تَبخَلى لا يسلى القلب بخْلُكم

وان تَجودِي فقد عنيتِنِى زمنا

أمسى الفؤاد بِكم يا هِنْد مرتَهنا

وأنت كُنت الهوى والهم والوسنا

وانتخب لبشار بن برد (على ما شهر من خلقه السئ في شعره/ قصيدة توافق مذهبه ومنحاه التذوقي وهي التي يقول فيها:

-يزهدني في وصل عزة معشر

قلوبهم فيها مخَالِفة قلبي

-فَقُلتُ دعوا قلبي وما اختار وارتضى

فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللبِ

-وما تُبصِر العينان في موضِع الهوى

ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

-وما الحسن إلا كل حسنٍ دعا الصبا

وألف بين العشق والعاشق الصبِ

ومن أصدق ما أنشده أبو علي في الغزل أبيات لذى الرمة[1]:

فما زلتُ أطوى النفس حتى كأنها
بذى الرمث لم تخطُر على قلب ذاكِر
حياء وإشفاقاً من الركب أن يروا
دليلاً على مستَودعات السرائر
لمية إذ مى معان تَحله
فِتاخُ فحزوى في الخَلِيط المجاوِر
إذا خَشِيتْ من الصريمةَ أبرقت
له برقةً من خُلّب غير ماطر
كأن عرى المرجان منها تعلّقت
على أم خِشْف من ظباء المشَاقِر

(2) الـرثـاء :

وشارك الرثاء الغزل خاصية الجودة الفنية والصدق العاطفي، فقد روى الجاحظ عن الباهلي إنه قيل لإعرابي ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال: "لأنا نقول وأكبادنا تحترق"[2].

وقد خص القالي كما خص ابن سلام في طبقاته أصحاب المرائي بالاختيار فأورد مرثاة لرجل من بني ضبة في الجاهلية، هوت على أبنائه السبعة صخرة. فقد شرح القالي في أماليه غريب حديث البنين السبعة الذين هوت عليهم الصخرة وما قاله فيهم أبوهم من الشعر. فقال[3]: (حدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال

---

(1) وذو الرُمّة لُقّبُ به لقوله في وَتدٍ
لم يبق غيرُ مُثَّلِ رُكود   *   وغيرُ مرضوخ القَفا موتود
أشعثَ باقي رُمّةِ التقليد
هو غَيْلان بن عقبه بن نهيس يكنى أبا الحرث شاعر اسلامي وصاحبته ميّ بنت عاصم
انظر الأمالي ج1 ص 82 – وديوان ذو الرُمّة: أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس العدوى، بيروت 1934م

(2) البيان والتبيين للجاحظ – تحقيق فوزي عطوى – طبعة بيروت – ج2 – ص 321

(3) الأمالي – ج1 ص 61، 62

أخبرني يونس قال: كان لرجل من بني ضبة في الجاهلية بنُون سبعة، فخرجوا بأكْلُب لهم يقتنصون، فأووا إلى غار فَهوتْ عليهم صخْرة فأتت عليهم جميعهم، فلما أستَراثَ أبوهم أخبارهم اقْتَفر آثارهم حتى انتهى إلى الغار فانقطع عنه الأثر، فأيقن بالشر، فرجع وأنشأ يقول:

-أسبعة أطوادٍ أسبعة أبحر
أسبعة آسادٍ أسبعة أنجم

-رزئْتُهم في ساعةٍ جرعتْهم
كؤُوس المنايا تحت صخْرٍ مرضم

-فَمن تَكُ أيام الزمان حميدةٍ
لَديه فإني قد تَعرقَتَ أعظُمي

-بلَغْن نَسِيسِي وارتَشَفْن بلالَتَي
وصلينني جمر الأسى المنصرم

-أحين رماني بالثمانين منكْب
من الدهر منْحٍ في فؤادي بأسهم

-رزئْتُ بأعضادى الذين بأيدِهم
أنُوء وأحمى حوزتي وأحتمِي

-فإن لم تَذُب نفسي عليهم صبابة
فَسوفَ أشُوب دمعها بعد بالدم

يقول القالي[1]:

ثم لم يلبث إلا يسير حتى مات كمداً.

ثم يقول القالي في شرح الغريب – أُقْتَفر: أُتّبع يقال قَفَرت الأثر وأقْتَفَرته إذا اتبعتْه.

---

[1] الأمالي ج1 ص 61

ومرضم: منَضد بعضه على بعض: ويقال بنَي فلان دارا فَرضم فيها الحجارة رضما وذلك إذا نضد الحجارة بعضها على بعض، ومنه قيل: رضم البعير بنفسه إذا رمى بها فلم يتحرك وتَعرقْت: أخذت ما عليه من اللحم، يقال: عرقْت العظْم وتَعرقتْه إذا أخذت ما عليه من اللحم.

والنسِيس: بقِية النفس

قال الشاعر[1]: فقد أودى إذا بلغ النسِيس

والبلالة: الرطُوبة.

والشواهد على ذلك كثيرة، ومن ذلك ما ذكره القالي في حديث الأصمعي قائلاً: كنت بالبادية فرأيت امرأة عند قبر وهي تبكي وتقول:

-فَمن للسؤال ومن للنوال

ومن للمقال ومن للُخَطْبِ

-ومن للحماة ومن للكُماة

إذا ما الكُماةُ جثَو للركَب

-إذا قيل مات أبو مالك

فتى المكُرمات قَريع العرب

-فقد مات عِز بني آدم

وقد ظَهر النكْد بعد الطرب

قال الأصمعي: فَمِلْت إليها فقلت لها: من هذا الذي مات هؤلاء الخلقُ كلهم بموته؟

فقالت: أو ما تعرفه ؟ قلت: اللهم لا، فأقبلت ودمعتها تَنْحدِر وإذا هي مقاء برشاء ثَرماء، فقالت: فديتك! هذا أبو مالك الحجام ختن أبي منصور الحائك! فقلت: عليك لعنة ا ! وا ما ظننت إلا أنه سيد من سادات العرب.

---

(1) هو أبو زُبَيد الطائي يصف أسداً لسان العرب ـ الجزء السادس ص 116

قال أبو علي: قَريع الشول: فَحلُها، والقَريع الفحلُ من الرجال الشجاع.

والمقاء: الطويلة، والأمقَ : الطويل والمقَقُ: الطول. والثرماء: التي قد اسقطت ثنيتاها.

كما لزينب بنت الطثرية مرثيه في اخيها يزيد[1]

-أرى الأَثْلَ من وادي العقيق فجاوري
مقيما وقد غَالتْ يزيد غوائلُه

-فتى قُد قَد السيف لا متَضائلٌ
ولا رهِلٌ لباته وبادِله

-فتى لا ترى قَد القَميص بخَصِره
ولكنما تُوهى القميص كواهله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى
بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

-يسرك مظلوما ويرضِيك ظالما
وكل الذي حملتْه فهو حامله

-إذا نزل الأضيافُ كان عذَورا
على الحي حتى تَستَقِل مراجلُه

حتى تقول[2]:

-فتى كان يروى المشَرفي بكفه
ويبلغُ أقصى حجرة الحي نائلة

-كريم إذا لاقيته متَبسما
وإما تَولى أشْعثُ الرأس جافُلةْ

(1) الأمالي ج1 ص 85

(2) المصدر نفسه ص 85

من الملفت حقاً في أمالي القالي أن اثر المراثي التي أملاها انثوية، والقالي بذلك إنما يجرى على الشائع من أن بكاء المرأة أصدق من بكاء الرجل خلافاً لما بات في حكم المؤكد في هذا الشأن من أن أبكى المراثي وأشجاها مما تحفظ هي للرجال دون النساء لأسباب عدة[1].

ومن ذلك ذكره لمراثي الخنساء في أخيها صخر حيث أورد قولهل في رثاء الخنساء لأخيها[2]

يذكِرني طلوع الشمس صخرا

وأذكره لكل غروب شمس

(3) المدح في الأمالي:

تكاد تخلو الأمالي من شعر المدح القائم على الملق، وحين أورد القالي تحت عنوان أحسن ما سمع في المدح أورد قولا لسعيد بن سلم "مدحنى أعرابي ببيتين لم اسمع أحسن منهما:

-أيا ساريا بالليلِ لا تَخْشَ ضِلةً

سعيد بن سلْم ضوء كل بلادِ

-لنا مقْرم اربى على كل مقْرم

جواد حثّا في وجهِ كل جوادٍ[3]

وأورد ما اختاره معن بن زائدة من قول سلْم الخاسر حيث سئل عن أحسن ما مدح به:

---

[1] المرأة في القرآن – عباس محمود العقاد – طبعة دار الهلال القاهرة – ص 10

[2] الأمالي ج1 ص 88 انظر ديوان الخنساء ملئ بالمراثي- تماضر بنت عمرو، دار الأندلس، بيروت 1968م

[3] الأمالي - ج 2 – ص 232

قال: قول سلْم الخاسر[1]:

-أبلِغ الفِتيان مألُكةً

أن خَير الود ما نَفَعا

-إن قُرماً من بنِي مطَرٍ

أتْلفَتْ كفاه ما جمعا

-كلما عدنَا لنائله

عاد في معروفه جذعا

قال أبو علي: المألكة والمألكة والألوك: الرسالة ومنه اشتقاق الملائكة.

وقد أولى القالي مكارم الأخلاق في مختاراته الشعرية نصيباً وافراً، فأخذ العفو وغفران الذنوب والحلم وغض الطرف عن عيوب الناس معان اشتملت عليها قصيدة المغيرة بن حِبنْاء[2] التي يقول فيها:

-خذ من أخيك العفْو واغِفْر ذنُوبه

ولا تَك في كل الأمور تُعاتبُه

-فإنك لن تَلْقى أخَاك مهذبا

وأى امرئ ينْجو من العيب صاحِبه

-أخوك الذي لا ينقض النأي عهده

ولا عند صرف الدهر يزور جانبه

-وليس الذي يلقاك بالبشْر والرضا

وإن غِبتَ عنه لسعتْك عقاربه

---

(1) الأمالي ج 2 – ص 165

(2) المصدر نفسه ج2 – ص 230

وقال أبو علي وقرأت على أبي بكر للمغيرة:

إذا أنتَ عاديتَ امرأً فاظفر له

على عثْرةٍ إن أمكنتْك عواثره

قال أبو علي: أظفِر: افْتعِلْ من الظفر وهو الوثْب[1].

ومن مكارم الأخلاق أيضاً، الفخر باجتناب الريبة والمنجاة من الفاحشة وموطنها واحتمال المصيبة والصبر على الشدائد وإيثار الآخرين وإكرام الضيف وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، أوضحت عنها كثير من القصائد ومنها قصيدة معن بن أوس التي يقول فيها[2]:

- لعمرك ما أَهويتُ كفى لريبة

ولا حملتْني نَحو فاحشة رِجلي

- ولا قادني سمعِي ولا بصري لها

ولا دلني رأْيي عليها ولاَ عقْلي

- وأَعلَم إنني لم تُصِبنْي مصيبةُ

من الدهر إلا قد أصابتْ فَتى قبلي

- ولَستُ بماشٍ ما حيِيتُ بمنْكرٍ

من الأمر ما يمشِي إلى مِثْلهِ مِثْلي

- ولا مؤْثراً نَفْسِي على ذِي قَرابتي

وأُوثرُ ضيفي ما أقام على أهلي

ولم يجد القالي محيصاً عن إشعار تلامذته ومصارحتهم بان من كمال ذوق المتأدب رواية الشعر ذي المعاني الفاضلة، وذلك أمر ملحوظ عند أئمة الرواية في بيئة الشعر المشرقية في حرصهم على الجانب الخلقي، ولذلك فإن القالي[3]: يقدم

[1] الذي في كتب اللغة أن الوثب من معاني الظفر بالطاء المهملة لا المعجمة
[2] الامالي ج2 ص 234
[3] المرجع السابق ج1 ص 78

لأبيات أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي التي يتحدث فيها عن عفة المرء وحيائه بقوله: (حدثنا أبو بكر الأنباري... قال حدثنا عبد ا بن خلف قال حدثنا محمد بن أبي السرى قال حدثنا الهيثم بن عدى قال: كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له، وهي لأيمن بن خُريم بن فاتك الأسدي، قال وأنشدنا أبو العباس احمد بن يحيى النحوى عن ابن الأعرابي ، -والألفاظ في الروايتين مختلطة[1]-

- وصهباء جرجانية لم يطُفْ بها
حنيفُ ولم تَنْغَر بها ساعةً قِدر[2]
- ولم يحضر القَس المهينم نارها
طُروقا ولم يشْهد على طبخها حبر[3]
- أتاني بها يحيى وقد نِمتُ نَومة
وقد غابت الشعرى وقد جنح النسر
- فقلت اغتْبقْها أو لغيري فاسقِها
فما أنَا بعد الشيب ويبك[4] والخَمر
-تَعففْت عنها في العصور التي خَلَتْ
فكَيفَ التصابي بعد ما كلأ العمر
-إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن
له دون ما يأتي حياء ولا سِتْر
-فَدعه ولا تَنفَس عليه الذي ارتَأى
وإن جد أسباب الحياة له الدهر

(1) هكذا جاء في الأمالي ج1 ص 78
(2) الحنيف: المسلم ونغرت القدر: علت
(3) المهينم: الذي يقرأ بصوت خفي – والطروق : الحضور ليلا
(4) الاغتباق: شرب العشى ويبك: ويلك

قال أبو علي: كَلأ: انْتهى إلى آخره وأقْصاه ويقال: بلغَ ا بك أكلأ العمر: أي آخره وأُرتَأى: أُفتعل من الرأي[1].

(4) موقف القالي من شعر الهجاء:

وقف القالي من شعر الهجاء موقفاً متزناً[2] فلا هو أنكره ولا هو أصاخ له باعتباره غرضاً مشرقياً بارزاً في القرن الأول الهجري، بل ماز هجاء الطبع من الهجاء الشخصي، وجعل انتخابه من ذلك محصوراً في النطاق الأسري، كالهجاء الذي يدور حول اللؤم والطبع السخيف بين الأخ وأخيه[3]، ومن ذلك ما قاله بعض العرب يهجو أخاه الشقيق. (قال أبو علي: أخبرنا أبو عبد ا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال أخبرنا احمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال قال رجل لأخيه: لأهجونك، قال: وكيف تهجوني وأبونا واحد وأمنا واحدة! فقال:

-غلام أتاه اللؤم من شَطِر نَفْسِه

ولم يأْتِه مِن نحو أُم ولا أب

قال وقال آخر يهجو أخاه:

-أبوك أبي وأنت أخي ولكن

تَفاضلت الطبائع والظروفُ

-وأمك حين تُنْسب أم صِدق

ولكن ابنها طَبِع سخِيفُ

-وقومك يعلمون إذا التقينا

من المرجو منا والمخُوفُ

---

(1) الأمالي ج1 ص 78

(2) تيارات النقد الأدبي في الأندلس – ص 27

(3) الأمالي ج2 ص 82

وكذلك الهجاء الذي يدور حول اللؤم والطبع السخيف بين الأب وابنه أو العم وابن أخيه ومن ذلك: قال القالي وأنشدنا أبو العباس المبرد لعبد الصمد بن المعذّل يهجو ابن أخيه أحمد[1]:

-لو كان يعطِى المنى الأعمام في ابن أخ

أصبحتَ في جوف قُرقُورٍ[2] إلى الهيين

-قد كان هم طويلٌ لا ينَام له

لو أن رؤْيتَنا إياك في الحِين

-فكيفَ بالصبرِ إذ أصبحتَ أكثر في

مجال أعيننا من رمل يبرين

-يا أبغض الناس في فَقْر وميسرة

وأقدر الناس في دنْيا وفي دين

-تِيه الملوك إذا فَلْس ظفِرتَ به

وحِين تَفْقِده ذُل المساكين

-لو شَاء ربي لأضحى واهباً لأخي

بِمض ثُكْلكِ أجراً غَير ممنُون

حتى يقول[3]:

أن القلوب لتَطْوى منك يابن أخي

إذا رأتك على مثل السكاكين

-ومن صور هجاء الآباء لأبنائهم هجاء حضين بن المنذر لابنه غَياظا قال[4]:

---

(1) الأمالي ج1 ص 279

(2) القرقور: السفينة

(3) الأمالي ج1 ص 280

(4) المرجع نفسه ج1 ص 198

-نَسِى لما أُوليتُ من صالح مضى

وأنتَ لِتَأنْيبٍ على حفيظُ

تَلِين لأهل الغل والغِمر منهم

وأنتَ على أهل الصفاءِ غليظُ

-عدوك مسرور وذو الود بالذى

أتى منك من غيظٍ علىٰ كظِيظُ

-وسميتَ غَياظا ولست بغائظٍ

عدواً ولكن الصديق تَغِيظُ

-فلا حفِظَ الرحمن روحك حية

ولا هي في الأرواح حين تَفِيظُ

-فذاك لأنه كان غليظ على أهل الصفاء لَين لأهل الغل"[1]

والقالي إنما يرمي من الهجاء إلى أن يكون ذا مضمون عملي تربوي، وهو بذلك إنما يحتفظ للأدب برسالة إنسانية عملية. وقد يكون إهماله لشعر النقائض وشعرائه انسجاما مع هذا الموقف، على الرغم من انه أدخلها معه إلى الأندلس، وعلى الرغم من أنها مما يشاكل بضاعته واهتمامه بالثروة اللغوية لتي حفلت بها، فأغنت الشعر والمعاجم وغرائب اللغة، لاسيما ما ورد منها في شعر الفرزدق الذي قيل فيه: "لولا شعره لذهب ثلث اللغة"[2].

ويبدو أن القالي قد احس من تلامذته أو انه رأى منهم استشرافاً لمختار من الهجاء، فأورد تحت عنوان أحسن ما سمع من الهجاء ما وافق قناعته ومذهبه. وقد استطاع بموقفه الخلقي الواضح من شعر الهجاء أن يترك أثراً كان بعيد المدى تجاوز

---

(1) الأمالي ج2 ص 198

(2) تاريخ النقائض في الشعر العربي – احمد الشايب – طبقة مكتبة النهضة مصر – ط3 – 1996 ص 446-448

تلامذته إلى شعراء الأندلس، إذ خلت تقريباً دواوين الشعراء من شعر الهجاء وكذلك كتب المختارات كالذخيرة وغيرها منه.

وهذه الأغراض المختلفة من الأشعار في الأمالي والمصنفات المختارة من الشعر هو الذي يعطى الكتاب القيمة الأدبية الخطيرة، لما تأنق القالي في اختيارها وأفرغ فيها من جهده وقدم منها النصوص الوافرة الكثيرة، التي تقوم حجة على ذوقه، ودليلاً على سلامة حسه الأدبي. وكأن القالي وقد عهدت إليه مسؤولية التثقيف والتوجيه، يقدر تلك المسؤولية العظيمة، وهي توجيه الذوق الفني لطلابه بالأندلس، واعطاؤهم النماذج الرفيعة التي تصلح للتقليد والتمثل.

فاختار أغلب نماذجه من الغزل لعذوبته ورقته، حتى أكثر منه كثرة ملحوظة- وتكاد تكون كل القصائد الطويلة من هذا الباب- فضلا عن المقطعات الأخرى في بكاء الحمائم، ووصف الليل الطويل، وتباعد الأحبة، ومفارقة الخلان والأوطان، ورثاء الأهل، ووصف الدموع، والسحاب والأمطار...إلخ. وكلها موضوعات عاطفية وجدانية، ولا ينفي هذا وجود موضوعات أخرى لشعراء عرفوا بالجزالة والقوة من جاهليين وإسلاميين كلبيد، وامرئ القيس، والفرزدق ، والشنفري، والأخطل، ورؤبه، والعجاج وغيرهم. ولكن القالي لم يورد لهم من الشعر أكثر مما أورد لقيس، والمجنون، وجميل وكثير وعمر بن أبي ربيعة، وابن ميادة، ومسلم بن الوليد،... والعباس بن الأحنف، والبعيث، وابن مقبل، وليلى الأخيلية، وتوبة بن الحِمير. من الشعراء الغزليين والمفتونين، بالإضافة إلى إشعار أخرى غير منسوبة. وأن الطابع الوجداني لظاهرة متحكمة في هذا الصنف من النصوص الشعرية، التي لا تحيد مهما اختلفت مواضيعها – عن مذهب العرب أو عمود الشعر القديم[1].

[1] تاريخ النقائض ، ص 448

ويدلنا كتاب الأمالي أيضا على تمرس القالي بالشعر، وتحككه به، حتى كانت له فيه اختيارات واستحسانات، كتلك التي كان ينتقيها ويختارها ثم يقدمها ليقرأها على شيخه ابن دريد، مثل اختياراته من شعر معن بن أوس[1] واستحسانه من شعر قيس بن الخطيم[2].

ومن ذلك ما جرى بين عبد الملك بن مروان وأهل سمره من إنشاد كل منهم أحسن ما قيل في الشعر وإنشاده هو شعر معن بن أوس الذي أوله: "وذي رحم قلمت أظفار ضغنه" فقال حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته، فقال لهم: لَيقُل كلّ واحد منكم أحسن ما قِيل في الشعر ولُيفُضل من رأى تفضيله، فأنشدوا وفَضلوا، فقال بعضهم: امرؤ القيس، وقال بعضهم: النابغة، وقال بعضهم الأعشى، فلما فرغوا قال: أشْعر وا من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول: قال أبو علي: أنشد عبد الملك بعض هذه الأبيات التي انا ذاكرها وضممتُ إليها ما اخترت من القصيدة وقت قراءتي شِعر معن بن أوس على أبي بكر بن دريد وما رواه ابن الأعرابي في نوادره –

-وذي رحِم قلمتُ أظفار ضِغْنِه

بحِلْمِى عنه وهو ليس له حِلْم

-يحاول رغْمي لا يحاول غيره

وكالموت عندي أن يحل به الرغْم

-فان أعفُ عنه أُغض عيناً على قذى

وليس له بالصفْح عن ذنبه عِلْم

[1] الأمالي – ج2 – ص 102

[2] المرجع نفسه – ج1 – ص 43 ، 65 ج2 ص 273- انظر: ديوان قيس بن الخطيم تحقيق – ناصر الدين الأسد مطبعة المدنى مصر ط1 1962م

صبرتُ على ما كان بيني وبينه

وما تَستَوي حرب الأقارب والسلم

وبادرتُ منه النّأى والمرء قادر

على سهمِه ما دام في كفه السهم

ويشِتْم عِرضِي في المغَيب جاهدا

وليس له عندي هوان ولا شَتْم

إلى آخر القصيدة وهي من القصائد الطوال المليئة بالحكم والأخلاق الكريمة التي تدعو إلى السلم والتسامح.

قال أبو علي: ومما استحسنتُه من شعر قَيس بن الخَطِيم قال وقرأت شعر قيس ابن الخطيم[1] على أبي بكر بن دريد رحمه ا :

-أن تَلْقَ خَيلَ العامِري مغيرةً

لا تَلْقَهم متَقَنعي الأعرافِ

-واذا تكون عظيمةُ في عامرٍ

فهو المدافِع عنهم والكِافي

الواتُرون المدِركُون بتْيلهم

والحِاشُدون على قِرى الأضياف

ومن أجود ما أثبته أبو على قصيدة لأبي حية النُميري[2]: "بدا يوم رحنا" يقول أبو علي وأول القصيدة على ما أنشده جماعة من الرواة اثبتها لجودتها:

ألا يا غراب البين فيم تَصيح

فصوتك مشنوء إلى قبيح

---

[1] ديوان قيس بن الخطيم ص 103

[2] هو: الهيثم بن الربيع بن كثير بن جنان النميري من شعراء الدولتين انظر سمط اللالى ص 244

وكل غداة تنتحي لك تنتحِى

إلى فتلقاني وأنتَ مشِيح

تخبرني أن لستُ لاقِى نعمة[1]

بعدت ولا أمسى لديك نصيح

وان لم تَهجنى ذاتَ يوم فإنه

ستُغنيك ورقاء السراة صدوح

تذكرتَ والذكرى شغوفَ لذى الهوى

وهن بصحراء الخُبيتِ جنوح

-وقد اثبت القالي ذلك لجودته وعلو ذوقه الأدبي.

ومن أجمل وأجود ما أنشده القالي للحطيئة[2].

-فِدى لابن حصن ما ُأريح فإنه

ثِمالُ اليتامى عِصمةُ في المهالك

-قال المؤلف هذا أول الشعر وبعده:

سما لعكاظ من بعيد وأهِلها

بألفَين حتى دسنَهم بالسنابك

فباع بنيه بعضهم بخشُارة

وبعتَ لذُبيان العلاء بمالك

يقول أبو علي: قوله لابن حصن يعني عيينة بن حصن. ويروى ما أريح بفتح الحاء وما أريح بضمها، والرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل ويروى بخسارة أي رضوا بالديات فكان ذلك عارا وخسارا عليهم وأبيت أنت إلاّ إدراك ثأرك. والخُشارة

(1) الأصلان نعمة: ويذكر المشيب باسمى سمراء ودهماء ونعمة من اسماء النساء – شرح الأمالي ص 243

(2) واسم الحطيئة جرول بن أوس بن مالك من بني قطيعة بن عبس يكنى أبا مليكة، لُقب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض. يقال حطأته إذا ضربته ضربة شديدة ألزمته بالارض وهو رواية زهير وهو جاهلي أو هو إسلامي ولا أره اسلم إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم - الامالي ج1 ص 18 – شرح الأمالي ص 80

السِفَلةَ. يقول الحطيئة لعيينه بن حصن الفزارى، وكانت بنو عامر ملكت ابنه قتلت ابنه مالكا فغزاهم فأدرك بثأره وغَنِم وغَنم.

والقصائد كثيرة في الأمالي مليئة بأروع المعاني وأدق الألفاظ والأسلوب الأدبي الراقي الذي ينّم على ذوق القالي في أماليه.

(5) أراجيز العرب:

كتاب الأمالي وعاء ظرف ملئُ بأراجيز العرب وعلى رأس هؤلاء أشعار وأراجيز العجاج وابنه رؤْبةُ. فقد أورد القالي كثير من الأراجيز مع الشرح والتعليق عليها ومن ذلك ما أنشد أبو علي:

بل لو شَهدتِ الناس إذ تُكُموا[1]   بِقَدرٍ حم لَهم وحموا

وغُمةٍ لو لم تُفَرج غُموا

والرجز للعجاج[2] يقوله في قتل مسعود بن عمرو العتَكِى من الأزد. ثم يقول:

وغُمةٍ لو لم تُفرج غُموا

إذ زعمت ربيعة القَشْعم

أن لن يرد همهم إذ هموا

كيد الإله والجبال الصم

قال الخطابي: يعني تُكُموا قُتل كميهم. والقشعم: المسِن. وكان يقال ربيعة القَشْعم كأنه مسِن ضخم. وكيدا الإله: جزاؤه لهم بكيدهم كما قال تعالى: "أم يريدون كيدا ، فالذين كفروا هم المكيدون".

ومما قرأه أبو على على أبي بكر بن دريد لرؤْبة :

---

(1) الكمىّ: الجرئ المُقْدِم كان عليه سلاحُ أو لم يكن وقال غيره: الذي يَكْمِى شجاعته في نفسه، أي يَسْترها. انظر الأمالي ج1 ص 19

(2) هو عبد الله بن رُؤُبة بن لبيد من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وإنما لقب العجاج لقوله: حتى يعجّ عندها من عَجْعَجَا ويكنى أبوه العجّاج بـ "أبا الشعثاء" وابنه رُؤُبة ويكنى أبا الجحّاف، وهما أرجز الناس، وأدرك العجاج أبا هريرة وروى عنه أحاديث – الأمالي ج1 ص 19، 20 ، شرح الأمالي ص 56 – انظر ديوان رؤبة بن العجاج ص 94

وقد بنَى بيتا خفي المنزبقْ

مضطِمرا كالقَبر في البيت الأزقْ

فباتَ والنّفْس من الحِرص الفَشَق

في الذّرب لو يمضغُ شَرياً ما بصق

يقول: بات هذا الصائد في القُتْر وهي النّاموس والزرب أيضا، وقد أبصر وحشا فانتشرت نفُسه، فلو مضغ شَرياً: أي حنْظَل ما بصق لئلا ينفر الوحش.

كما أنشد أبو على لأبي محمد عبد ا بن ربعى بن خالد الفَقْعسى راجز إسلامي[1] قال:

إما تَريني اليوم ثِلبا شاخصا

أسود حلْبوبا وكنت وابصا[2]

فقد طلبتُ الظُعن الشواخصا

على جِمال تَغُمِز المراهصا[3]

غَمزاً يبذ جذبه القرائصا

ومن الرجز أيضاً قول الراجز:

يا أَسم[4] أسقاكِ البريقُ الوامض

وانشد أبو علي[5]: قال وأول الرجز

لا تسقِه محضا ولا حليبا

إن لم تجده سابحا يعبوبا

[1] والظاهر انه مخضرم. انظر شرح الأمالي ص 148
[2] مُسنا: وشاخصا: الذي شخص بصره أو الذي شخص من مكان إلى مكان
[3] المراهص الحجارة التي ترهص أخفافها
[4] وأسْمَ مرخّم أسماء
[5] الأمالي ج1 ص 9، 10 ، والرجز: للأجلح بن قاسط الضِبابي أنشده أبو عبيدة البكري –شرح الأمالي ص 41

ذا ميعة يلتهم الجبوبا

يبادر الآثار أن تؤوبا[1]

وحاجب الجونة أن تغيبا

بمجمرات قُعبت تقعيبا

كالذئب يتلو طَعماً قريبا

واليعبوب: الكثير الجرى. والميعة الحدة والنشاط وصنف من الطيب يسمى ميعة لحدة رائحته، والمحض والحليب شئ واحد، والأثار:جمع ثأر والمراد أصحاب الآثار أو المراد المثؤور منهم[2].

ومن أروع ما تجانست فيه الكلمات أرجوزة لرؤْبة يقول فيها:

إنا أنُاس نَلْزم الحِفاظا

إذ سئِمت ربيعةُ الكظاظا

لأواءها والأزلَ والمِظاظا

يقول أبو على في شرح الغريب، والكظاظ والمكاظّة الممارسة الشديدة فى الحرب وأصله التضايق، والمماظة المخاصمة والمشاتمة والأزلُ: الضيقُ.

كما أنشد القالي للشماخ بن ضرار بن سنان[3] الذبياني قوله، راجزاً

كأنها وقد براها الأخَماس

ودلَج الليل وهادٍ قَسقاس[4]

شرائج[5] النَبع براها القَواس

يهوى بهن بخْتَرى هواس

---

[1] والجبوب: الأرض ، وتؤوبا: ترجع إلى ما كانت عليه
[2] الأمالي ج1 ص 9، 10 ، شرح الأمالي ص 41
[3] يكنى أبا سعد، ويقال: أن اسمه مَعْقل والشماخ لقب، وقيل اسمه الهيثم والأول اكثر
[4] القسْقاس: الذي يسأل عن أمور الناس، وهاد قسقاس أي دائب لا يفتر
[5] الشريجة: الغصن من الشجرة والشرائج بالجيم :العود يشق فِلْقَتَيْن

كأن حر الوجه منه قُرطاس

ليس لما ليس به بأس باس

قد لَفّها الليلُ بسواق حطم

والهواس: المجرب

والبخْتَرى: المتبخِتر

ومن رجز العجاج قوله[1]:

إني امرؤ عن جارتي كفى

عن الأذَى إن الأذى مقْلى

وعن تبغّى سِرها غنى

عفّ فلا لاصٍ ولا ملْصِى

والكفى: أي الغنى يقول لا أوذيها لأن الأذى مقلى. وعن تبغّى سرها: السِّر: النكاح ويكون ما استسر به أي لا أطلب أخبارها لا لاص ولا ملصى يقول لست بشاتم ولا مشتوم.

وقال أبو بكر بن الأنبارى : واهاً: تعجب،

في قول الراجز:

واهاً لِريا ثُم واهاً واها

يا لَيتَ عيناها لنا وفاها

بثَمنٍ نُرضِى به أباها

هكذا مضى القالي يتناول أراجيز العرب في الجاهلية والإسلام وعصر بني أمية بالشرح والتعليق وشرح غامضها والترويح على تلاميذه بذلك مما جاء من الرجز الخفيف الفكة الذي يزخر به كتاب الأمالي.

---

(1) الأمالي ج1 ص 77 – شرح الأمالي ص 258

(6) موقف القالي من الشعر "المُحْدَث":

حتى يحظى القالي بثقة تلاميذه لم يهمل جانب الشعر "المحدثِ" الذي أملى منه مقطوعات شعرية لبشار بن برد، ولأبي تمام ولابن المعتز وأبي نواس ومسلم بن الوليد وابن الرومي – وسنتناول بعض منها – إلاّ أنها تحتل رقعة صغيرة إذا ما قيست بالحيز الذي شغله الشعر القديم في أماليه. ومع الاهتمام بأمر الشعر المحدثِ إلا أن القالي لم يحاول التعرض لموازنته بالشعر القديم، لأنه لو فعل ذلك لفشل في تكوين ذوق أدبي عام وبلورته.

لكن القالي قد خص بعد المحدثين بإبداع بعض المعاني، فأشار إلى أحسن ما قيل في فتور الطرف، والعناق، وخفقات القلب – والريق، ومن ذلك:

قول أبي نواس: في فتور الطرف[1]

ضعيفة كَر الطرف تَحسب أنها
قريبةُ عهد بالإفاقة من سقْم

ومن أحسن ما قيل في الريق ما أنشده أبو بكر بن الأنباري لبشار[2]:

يا أَطْيب الناس ريقاً غَير مخْتَبر
إلا شهادةُ أطراف المساويك
منيتِنا زورة في النومِ واحدة
فاثْنِى ولا تَجعليها بيضةَ الديكِ
يا رحمة ا حلى في منازلنا
حسبى برائحة الفِردوس من فيكِ

وأنشد أبو علي قائلاً أنشدنا بعض أصحابنا هذه الأبيات:[3]

(1) ديوان أبى نواس – تحقيق عبد المجيد الغزالي – دار الكتاب العربي – بيروت 1953م ص 87 والأمالي ص 227
(2) الأمالي ج1 ص 228 وهو بشار بن بُرد مولى بنى عُقيل ويقال مولى بني سَدوس يكنى أبا مُعاذ ويلقب بالمرعَّث وكان أكمُه وهو أشهر الشعراء المُحدِثين ورأس المطبوعين غير المتكلفين- انظر ديوان بشار بن برد - شرح حسين حموي – دار الجيل بيروت ط1 1996م ص 105
(3) انظر الأمالي ج1 ص 49، 50

حللنا آمنين بخير عيشٍ

ولم يشْعر بنا واشٍ يكيد

قال: أنشدها أبو الفرج لبشّار ونُسبتْ إلى عروة بن أُذينة[1]، وقال القالي: واعتذاره من البكاء في هذا الشعر أحسن ما ورد في معناه. ومن ذلك أن أبا العتاهية زار بشار بن برد فقال له بشار: يا أبا العتاهية وا إنّي لأستحسن اعتَذارك في البكاء إذ تقول:

كم من صديق أُسارقُه

البكاء من الحياءِ

فإذا تأمـل لامـنى

فأقول ما لي من بكاء

لكن ذهبت لأرتدي

فطَرفتُ عيني بالرداء

فقال أبو العتاهية: ما عرفتُه إلاّ من بحرك وأنت المبِر[2] السابق حيث تقول:

وقالوا قد بكيتَ فقلت كلاّ

وهل يبكي من الطرب الجليد

وأخذه الحطيئة فقال:

إذا ما العين فاض الدمع منها

أقول بها قَذى وهو البكاء

ثم أخذه المحدثون فحسنوه منهم بشار وأبو العتاهية وخالد الكاتب في الأشعار المذكورة، ومنهم ابن أبى فنن فإنه قال:

---

[1] قيل ونسبت إلى عروة الفقيه – شرح أدب الكاتب ص 122

[2] كذا ولو قرأته المَبرّز ما غيَّرتَ من المعنى شيئاً شرح الأمالي ص 197

-ولما أبت عيناي أن تملكا البكا[1]

وان تَحبسا سح الدموع السواكب

-تثاءبتُ كي لا ينكِر الدمع منْكِر

ولكن قليلا ما بقاء التثاؤب

وقال أبو علي: ومما اخترته من الشعر المحدثِ وقرأته على أبي بكر بن دريد:

قوم إذا اشْتَجر القنا

جعلُوا القلوب لها مسالِك

اللابسين قلوبهم

فوق الدروع لدفْعِ ذاك

وجاء في شرح ذلك: هذه إشارة إلى أنهم يقدمون المدافعة بجنَن الرأي والسياسة قبل المدافعة بجنَب السلاح، والبزة لما كان الحزم والتدبير وصحة النظر في الأمور إنما تكون بالعقل. والقلب هو الذي يعقل به كما قال الله سبحانه وتعالى: (أَفَلَم يسِيروا فِي الْأَرضِ فَتَكُون لَهم قُلُوب يعقِلُون بِها)[2] وقد بين هذا المعنى ابن نُباته[3] بقوله:

لبسوا القلوب على الدروع حزامة

منهم فليس تُقَلم الأظفار

وقال أبو تمام[4]:

من كل أروع ترتاع المنُون له

إذا تجرد لا نِكْس ولا جحِد

---

(1) في الأصل: أن تملك، وهو إن كان جائزا إلا انه لا حاجة به وعلى الصواب "أن تستر الهوى" و"أن تقفا" شرح الأمالي ص 198

(2) سورة الحج الآية 46

(3) شرح الأمالي ص 233 : انظر ديوان ابن نباته ص 98

(4) ديوان أبي تمام: شرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبدُ عزام – دار المعارف 1964م والأمالي ج1 ص 200

إذا رأوا للمنايا عارضاً لِبسوا

من اليقين دروعا ما لها زرد

فاليقين هنا بإزاء الحزامة في قول ابن نُباته والرأي هو المقدم في الحروب كما قال أبو الطيب[1]:

الرأي قَبل شَجاعة الشُجعان

هو أولُ وهي المحلّ الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرةٍ

بلغتْ من العلياء كل مكان

والأمثلة على ذلك كثيرة في الأمالي، ونلاحظ أن شعر بشار بن برد وابن الرومي وابن المعتز يستحوذ على قصب السبق من بين المحدِثين، هذا إلى جانب إنشاده شعر لأبي العتاهية والبحتري وعلى بن الجهم وأبي فراس الحمداني وغيرهم.

مما يؤكد اهتمامه بامر الشعر المحدثِ ومما يحقق بذلك ذوق أدبي إلى جانب الحذر والحيطة والثقة والموضوعية والتوازن عند القالي من هذا الشعر.

(7) أدب القالي وشعره:

إن القالي وإن يكن بين العلماء والحفاظ في أسنى مقام، فهو في طبقة متأخرة من الشعراء والمبدعين. فلم يشارك بشئ – حسب الدراسات التي قامت حوله- في الحياة الأدبية والحركة الشعرية الزاهرة بالمشرق على عهده. كما لم يشارك في المرحلة الأندلسية بغير قصائد أو قصيدة طويلة قالها في مدح الناصر. وأبيات ثلاثة تعتبر من الإخوانيات ولعل عذره في هذا الأمر: "أن القالي لم يكن من ممن ارتقى منبر الخطابة أو وقف في مربد شعر. بل كان مجاله التعليمي محصورا في دائرة أولئك الشيوخ ذوي الجلالة في العلم.

[1] شرح الأمالي ص 233 وانظر ديوان المتنبي – شرح ناصيف اليازجي – دار الهلال – بيروت ط1 1996م

أ/ فأما الأبيات الثلاثة، فقد أجاب بها القاضي منذر بن سعيد البلوطي[1] حين استعار منه نسخته من كتاب "الغريب المصنف" – وسبق الإشارة إليها في هذا البحث[2]- وهي من الأبيات التي يتعاطاها العلماء فلا تنبئ عن شئ من شاعريته.

ب/ وأما القصيدة التي مدح بها الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر، حين وصوله الأندلس سنة 330هـ ، فقد رواها ابن خير الأشبيلي عن أبي عبد ا محمد بن سليمان النفري، عن أبي محمد غانم بن وليد، عن أبي بكرة عبادة بن ماء السماء، عن أبي بكر الزبيدي عن أبي علي، وقال: "قصيدة نقلتها من خط إبراهيم بن حمام بن احمد. قال: وجدت بخط ثابت بن قاسم. انشدنا أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، رضي ا عنه لنفسه، وخاطب بها أمير المؤمنين أطال ا بقاءه وقت حلوله بقرطبة، وذلك في شعبان لثلاث بقين منه سنة 330هـ"[3]. وهي توجد الآن ملحقة بآخر كتاب المقصور والممدود[4] للقالي يقول في مطلعها[5]:

قالت قد قربوا للبين أينقهم

وأسبلت عبرة ممزوجة بدمٍ

أمشرق الشمس تبغى – عشت في دعةٍ-

أم مشرق الجود والأفضال والنعمِ ؟

قلت: المنى، والذي انويه يا سكني

-إن استطعت وصولا- مطلع الكرم

---

(1)الأمالي ج1 ص 11 . انظر ترجمته في كتاب طبقات الزبيدي – معجم الأدباء ج9 ص 174 – انباه الرواه ج3 ص 325

(2) انظر ص 10 من هذا البحث

(3) فهرسة ابن خير ص 422

(4) نسخة دار الكتب المصرية رقم 184 لغة تامة في 85 بيتاً وقد طبعها أخيراً على أوراق الاستنساخ الأستاذ احمد هريدي مع المقدمة التي كتبها لتحقيق كتاب المقصور والممدود

(5) أبو على القالي وأثره ص 94، 95

إني أخاف الردى من ثائر حنق

على السبيل، وبحر مزبد حطَم[1]

قالت: فلن يبلغ العلياء ذو خطر

حتى يخوض المنايا حندس الظلم

أو يكشف الليث نابا عن فريسته

أو يكون أكيل الضيغم الرزم[2]

فيمم الغرب، واعبر بحر أندلس

تر الأمام الرفيع المجد والهمم

شمسا تجسم من جود ومن كرم

فصار مغربنا شرقا بلا رغم[3]

وهي أبيات أفصحت عن حزنه للفراق، وإشفاقه من مجاهل المستقبل الذي هو مقبل على الإلقاء بنفسه وأهله في متاهات صحرائه وأهوال بحاره، إذ هو بصدد الإزماع على رحلة تيمم به مطالع الكرم وتوصله إلى مشرق الجود والإفضال. فتنازعه خاطران، خاطر يمنيه بأحلام المجد والشهرة والجاه والمال، وخاطر يحذره من وحشة الطريق، وسوء المصادفة، وما يلاقيه راكب العلياء من حتوف المنايا[4].

وينتقل من هذه المقدمة إلى مدح الناصر، فينعته بالجود والكرم، والشجاعة والمهابة، والمجد، والأخلاق الرفيعة ويمدحه بالسماحة، والرزانة ومضاء العزيمة... ويخاص منها لوصف الرحلة الطويلة، واقفا عند كل مرحلة من مراحلها حتى استغرق ذلك منه أكثر من ثلاثين بيتاً انتهى منها إلى قرطبة، حيث الممدوح الذي جاز إليه البحر وقطع المسافات:

---

(1) الحطم: بضم ففتح: والحطمة الشديدة من النيران ، واسم لجهنم أو باب لها

(2) الرزم: الثابت القائم على الأرض

(3) أي: بلا كره، والرغْم: بتسكين الغْين: الكره، وحرك هنا للضرورة

(4) أبو على القالي وأثره ص 96

إذا قَطَعت عباب البحر معترضا

إلى الإمام الوفى العهد والذمم

نلت الغَنَى والمنى والنيل من ملك

فيوض راحته أمن من العدم

فثُم تَعلم أن الشَمس مطَلعها

قَصر بقرطبة الزهراء بلا وهم

من ثم يطلع نُور الصبح كُلّ غد

وثم تَفرقه الأموال والقَسم

ثم الإمام أمير المؤمنين بنى

بيْتا من المجد فَوق الشَمس من كرم

فيعود مرة ثانية إلى مدح الخليفة، ليكرر نفس المعاني، في مبالغة مسرفة، ملبسا أياه أنبل الصفات وأكرم النعوت، ومؤكدا على ما ينتظره لديه من نعم وأموال. ولا عجب أن تكون الرغبة في المال، فكرة تلح عليه بشكل غريب في هذه القصيدة، فكررها وأعادها، ذلك أن الفقر وقلة المال من الدوافع التي حملته على الهجرة، وتجشم الغربة والرحيل[1].

وهي أخيرا قصيدة جرى فيها القالي مجرى القدماء، ونحا منحاهم في الصياغة والفكرة، فقد استعاد الأسلوب القوي، والألفاظ الجزلة، ووصف الرحلة والراحلة، واستوقف الصحب والرفاق عند كل مرحلة، وطرق بمدحه كل عناصره المألوفة لدى الشعراء التقليديين، وإن لم يهتم مثلهم بترتيب قصيدته على النسق المعروف، من

---

[1] أبو على القالي وأثره ص 97

الغزل، والرحلة، والمدح، ويلاحظ أنه كرر وأطنب في معاني مدحه، حتى جاءت القصيدة في أبيات كثيرة.

وعلى كل حال فهي قصيدة تضاف إلى التراث الأندلسي، بعد أن ظلت قروناً طويلة في عداد المفقود من آثار القالي[1].

---

(1) أبو علي القالي ص 97

المبحث الثالث
نصوص أخرى في الأمالي

1/ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة :

لم يخل كتاب القالي أيضا من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، إلا انه راعى فيها القصر مع أداء الغرض، وهو أن تستوفي ما يتطلبه من شاهد أو حجة، ولاسيما أن القراءات واختلافها، تلعب دورا مهما في مجال الاحتجاج، وكان القالي ممن احتكم إلى ذلك مرات عديدة، ومن ذلك ما ذكره القالي في كتابه فقال[1]: قال أبو عبيدة: "العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء أي آخر المضاعف إلى الياء فيقولون: تَظنّيت، وإنما هو تَظَنّنْت.

قال العجاج:

*تَقَضى البازي إذا البازي كسر *

وإنما هو تَقَضض من الانْقِضاض، وقال الأصمعي: هو تَفَعل من الانقضاض فقلب إلى الياء كما قالوا: سرّية من تسررت. وقال أبو عبيدة: رجل ملَب وإنما هو من ألبيتُ، قال المضرب بن كعب:

فقلت لها فِيئى إليك فإنّني

حرام وإنّي بعد ذاك لَبيب

بعد ذاك: أي مع ذاك، ولبيب: مقيم.[2]

وقوله عز وجل: (وقَد خَاب من دساها)[3] إنما هو من دسست . وقال يعقوب: سمعت أبا عمرو يقول: لم يتسن: لم يتغير وهو من قوله: (من حمإٍ مسنونٍ)[4] فقلت لم يتَسن من ذوات الياء، ومسنون من ذوات التضعيف، فقال هو مثل تَظَنّيتُ.

---

(1) الأمالي ج1 ص 171
(2) المصدر السابق نفسه ص 171
(3) سورة الشمس الآية 10
(4) سورة الحجر الآية 26

هذا يؤكد اختلاف الآراء باختلاف القراءات ويوسع من دائرة الاحتجاج.

وكثيرا ما كانت هذه الآيات والأحاديث مما يفتتح به مجالسه العلمية. ولنأخذ نموذج على ذلك من كتاب الأمالي لنوضح كيف كان القالي يجعل منها أساساً لشروحه وتفسيراته وما يستنبطه من لغات وأقوال فهي لا تختلف في غايتها عن أي نص من الشعر أو النثر. فمن ذلك:

أ و لا :

أ / الآيــات الـقـرآنــيـة :

قال القالي قال أبو بكر الأنباري: معنى قوله عز وجلّ: "ولَتَعرِفَنهم فِي لَحن الْقَول"[1] أي في معنى القول، وفى مذهب القول، وأنشد للقتالي الكلابى[2]:

ولقد لَحنتُ لكم لكيما تَفْهموا

ووحيتُ وحياً ليس بالمرتاب

معناه: ولقد بينْتُ لكم، واللحن: بفتح الحاء: الفِطْنة وربما أسكنوا الحاء في الفطنة، ورجل لَحن، أي فَطِن، قال لبيد يصف كاتباً:

-متَعود لَحِن يعيد بكفه

قلما على عسبٍ ذَبلْن وبان

ومن اللحن الحديث الذي يروى عن النبي (صلى ا عليه وسلم) أن رجلين اختصما إليه في مواريث وأشياء قد درستْ، فقال عليه الصلاة والسلام: "لعل أحدكم أن يكون ألْحن بحجتِه من الآخر فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فإنما أقطع له قطْعةً من النار فقال كل واحد من الرجلين: يا رسول ا ، حقّي هذا لصاحبي، فقال: "لا ولكن اذهبا فتَوخيا ثم استَهما ثم لْيحلل كل واحد منكما صاحبه"[3]. ومنه قول عمر بن عبد العزيز : عجبت لمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم! أي فاطَنَهم.

---

[1] سورة محمد الآية 30

[2] انظر ديوان القتّال الكلابي ص 40

[3] صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج القشيري لمحمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى، دار الإفتاء الرياض 1400هـ ج3 ص 337

يقال قد لَحن الرجلُ يلْحن لَحناً فهو لاحِن إذا أخطأ، ولَحِن يلْحن لحناً فهو لَحن إذا أصاب وفَطِن وانشد.

وحديثٍ ألَذه هو مما

تشتهيه النفوس يوزن وزنا

منْطِقُ صائب وتَلْحن أحياناً

وخَير الحديث ما كان لَحنا

معناه: وتُصيب أحياناً.

ب/ الأحاديث الشريفة:

اتخذ منها أساساً لشروحه وتفسيراته ومن ذلك مبحث الكلام على غريب حديث "أحرم ما بين لابتي المدينة"[1] قال القالي: وقرئ على أبي بكر يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن البهلُول الأزرق في مسجد الرصافة وانا اسمع قال أخبرنا عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: أحرم ما بين لابتَى المدينة أن يقْطَع عضاهها أو يقتل صيدها" وقال: "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يخْرج منها احد رغْبةً عنها إلا أبدل ا ُ فيها من هو خير منه ولا يصبر أحد على لأوائِها وجهدِها إلا كنت شهيداً أو شفيعاً له يوم القيامة".

...قال أبو علي: اللاّبةُ واللوبة: الحرةَ، فمن قال لابة، قال في جمعها: لاب، ومن قال لُوبة قال في الجمع: لُوب، قال سلاَمة بن جندل:

حتى تركْنا وما تُثْنى ظَعائِننا

يأْخُذْن بين سوادِ الحظ فاللوب

والعِضاه: كل شجر له شوك يعظُم، ومن أعرفِ ذلك: الطلْح، السلم، السيال، والعرفُط، والسمر، والشبهان، الكنَهبلُ.

---

[1] صحيح مسلم ، باب الحج ج2 ص 992

والعِضاه: الواحدة عِضة، قال الراعي:

وخادع المجد أقوام لهم ورقُ

راُح العِضاُه به والعِرقُ مدخُولُ

واللأواء: الشّدة[1].

وهنالك نماذج كثيرة في الأمالي للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي هدف من ورائها القالي إلى استنباط لغات واقوال واختلافات لغوية عديدة[2].

ثـانـيـا :

2/ القـصص والأخبـار :

والقصص والأخبار تؤلف الموضوع الثاني في الكتاب من حيث الأهمية، وأول ما يلفت نظرنا في هذه القصص – قبل التعرض لأسلوبها – هو أن قسما كبيرا منها يدور حول بني أمية في الشرق، مما يروى سيرة خلفائهم ويصور مجالسهم مع الأدباء والشعراء وأوصافهم وأخلاقهم. فاق من حيث العدد السبعين ما بين القصة الطويلة والخبر القصير. فإذا أضفنا إلى هذا ما جاء من أخبار ولاتهم وعمالهم على الاقاليم، كالحجاج، وزياد ورجالات ذلك العصر كعبد ا بن الزبير وأخيه مصعب إضافة إلى كل الأشعار الكثيرة التي تنسب إلى هذا العصر، وأن القالي لم ينقل من أشعار آل العباس وآدابهم وقصصهم وأخبارهم، إلا نذرا يسيرا لا يطرق مديحاً ولا يصور عظمة الخلافة، مع أن العصر كان أكثر إغراء لكي توضع حوله القصص والأخبار.

إذا جمعنا هذه الملابسات والقرائن وجدنا القالي إنما أراد بهذا أن يتقرب للدولة التي قوي شأنها في الأندلس، وإلى الخليفة الذي أولاه نعمه، وأسبغ عليه فضائله.

---

(1) الأمالي ج1 ص 6

(2) المصدر نفسه ص 4 – 10

ولننظر بعد في عامة الأقاصيص التي ذكرها القالي، لنلحظ أنها في الغالب مما رواه عن شيخه أبي بكر بن دريد، فعوض بذلك عن قلة روايته عنه في اللغة بكثرة ما أخذه عنه من الأشعار والأخبار. وإذا تفحصنا جملة ما يأتي به ابن دريد من هذه القصص، وجدنا فيها آثار الوضع والاختلاف[1] ما يبدو واضحاً في المضمون والشكل والهدف. فاما المضمون، فلأن موضوعاتها تكون وحدة متشابهة فمن قصص تحكى عن أقيال اليمن وحمير بأسلوب يصعب تصديقه أن يأتي على السنة أولئك، إلى قصص يطلب فيها من الأزواج أن يصفوا زوجاتهم، ومن الزوجات أن يصفن أزواجهن، أو بنات يصفن ما يحببن من الرجال، ويتمنين من الأزواج، أو رجل يطلب منه وصف فرس له أو عنز له، أو أعرابية تصف سحابا أو برقاً[2]... وغير ذلك مما لا يكاد يخرج عن هذا النطاق إلا قليلا. فتبقى الصيغة والطريقة بداية ونهاية، ويتغير الأشخاص والأبطال، بل أن من أولئك الابطال من يتكرر دورانه في أكثر من قصة. هذا من ناحية المضمون.

أما الشكل، فلأن نسج هذه القصص على ذلك الأسلوب المحبوك الذي لا يكاد يخلو من السجع، ولغته قوية متينة تتضمن النادر والغريب، يبدو شيئاً لافتاً للأنظار، مستوقفاً للباحث ولاسيما إذا كان ذلك جاريا على ألسنة حِمير وأقيالهم.

أما الهدف، فلأن كل قصة من هذه القصص، إنما جئ بها لتؤدي دوراً تعليمياً واضحاً، ولم يوردها القالي في كتابه إلا في هذا الإطار. فبعد أن يذكر القصة أو الخبر، يفك ما فيها من غريب، ويحل الغوامض والألغاز مستشهداً بما لديه من الأمثال والأشعار ثم ينتقل إلى مادة أخرى وهذا مثال يوضح ويبين عن القصد التعليمي الذي يرجى من ورائه القالي.

---

(1) أبو على القالي وأثره ص 238

(2) الأمالي ج1 ص 19، 21، 24، 25، 27، 34، 37، 38، 41، 42، 57، 59- 61

قال أبو علي حدثنا أبو بكر رحمه ا   قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء قال: (رأيت باليمن غلاما من جرمٍ ينْشُد عنْزاً، فقلت: صِفْها يا غلام، قال: حسراء مقْبلة، شَعراء مدبرة، ما بين غثزة الدهسة، وقُنُوء الدبسة، سحجاء الخَدين، خَطْلاء الأذُنين، فَشْقاء الصورين كأن زنَمتَيها تَتْوا قُلَنْسية، يا لها أم عِيال، وثِمال مال)[1].

قوله ينْشُد: يطْلُب، والناشد: الطالب، يقال: نَشَدتُ الضالة، فأنا أنْشُدها إذا طلبتها. وأنْشَدتُها: عرفتها، فانا منْشِد وأنشدني أبو بكر بن دريد[2]:

يصيخُ للنباة أسماعه

إصاخَة الناشِد للمنْشِد

وقوله: حسراء مقْبِلة، يعني أنها قليلة شعر المقِدم، قد انحسر شعرها. وشَعراء مدبِرة، يعني أنها كثيرة شعر المؤَخر. والغُثْرة: غُبرة كَدِرة.

والدهسة: لون كلون الدهاس، قال الاصمعي: والدهاس من الرمل: كل لَين لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بتراب ولا طين، قال ذو الرمة يذكر فِراخ النعام:

جاءتْ مِن البِيض زعراً لا لباس لها

إلا الدهاس وأُم برةُ وأب

وقال أبو زيد: والصدآء من المعز: السوداء المشْربةُ حمرةً. والدهساء أقل منها حمرةً. والقُنُوء: شِدة الحمرة، والعرب تقول : أحمر قانئُ، وقد قَنأ يقْنأ قَنوأً، والدّبسة: حمرة يعلوها سواد وقال أبو عبيدة: الدبسة: شُقْرة يعلوها سواد وقوله سجحاء الخَدين، أي سهلة الخَدين حسنَتُهما ومن هذا قالوا اسجِح أي أحسِن وخَطْلاء: طويلة الأذُنَين

---

[1] الأمالي ج1 ص 34، 35

[2] هذا البيت للمثقب العبدي – الأمالي ج1 ص 34 – انظر الكامل في اللغة والأدب – لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد نشر محمد أبو الفضل إبراهيم – السيد شحاته – دار النهضة القاهرة – بدون تاريخ ص 63

مضطربتهما ومنه قيل لكلاب الصيد: خُطْل. وقوله فَشْفاء، أي منْتَشرة متباعدة. وقرأت على أبي بكر بن دريد لرؤبة[1]:

فباتَ والنفس من الحرص الفَشَقْ

في الزرب لو يمضغ شرياً ما بصق

ثم يشرح قوله: والصوران: القَرِنان، واحدهما صور. والزنَمتَان: الهنَيتّان المتعلّقتان ما بين لحيى العنْز والتّتْوان: ذؤابتا القَلَنْسوة واحدهما تتو... وقوله: ثَمال مال، أي أصل مال والثمِيلة، ما يبقى في بطن البعير من العلَف. وقيل لأعرابي: اشرب، فقال: إني لا أشرب إلا على ثَمِيلة.

هكذا شرع القالي فشرح مفردات النص كلمة كلمة ففك ما فيها من غريب واحل غامضها مستشهدا بما لديه من الأمثال والأشعار في هذا النص، ثم ينتقل في أماليه لشرح مادة أخرى.

على أن هناك من القصص ما يمكن تسميته "بقصص الأشعار"، و"قصص الأمثال". كما يمكن تسمية النوع الذي مثلنا له "بقصص الغريب". لأن الغرض يكون حينذاك، هو وضع قصص أو أخبار تشرح الشعر أو المثل أو الغريب.

ويقول الدكتور عبد العلى الودغيري في كتابه[2]: "وإذا عدنا إلى الشيخ الدريدي الذي تعزى إليه اغلب هذه القصص، وجدناه متهماً منذ قديم بالوضع والاختلاق في اللغة، كما روى ذلك السيوطي عن بعضهم[3]. وقد وقف الحصري موقفاً فريدا بالنسبة لقصصه أيضا ، وذلك بمناسبة حديثه عن بديع الزمان الهمذاني فقال: "ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي اغرب بأربعين حديثا، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، واستنتجها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، معارض أعجمية، والفاظ حوشية، فجاء أكثر

[1] انظر شرح البيت في مبحث أراجيز العرب من هذا البحث ص 104.
[2] أبو على القالي وأثره ص 239
[3] المزهر للسيوطي ج1 ص 93

ما اظهر تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجبها الأسماع، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب متصرفة، عارضها بأربع مئة مقامة.."[1].

وقد كان أول المنتبهين لهذا النص الدكتور زكي مبارك، فبنى عليه بحثه في النثر الفني[2] الذي انتهى به إلى عدة نتائج، منها: أن ابن دريد كان واضع الأقصومة الأول في العربية، وأنه كان أسبق من الهمداني في كتابة المقامات، وهي التي سماها الحصري بالأحاديث الأربعينية. وان كثيرا من هذه الأحاديث الدريدية منقول عند القالي في أماليه[3].

على أن القالي في الحقيقة، لم يرو هذه القصص والأخبار عن ابن دريد وحده، فقد روى عن أبي بكر بن الأنباري، والأخفش الصغير، وابن شقير، ونفطويه، وابن الأزهر، وغيرهم، ومن القصص ما يتشابه مع أخبار ابن دريد أحياناً إلا في أسلوبه. كما أننا حين نرجع إلى قائمة ما أدخله الأندلس من كتب الأخبار، نعلم أن مصادره في هذا الباب كانت كثيرة ومتنوعة، وان كان ما حمله من أخبار ابن دريد أكثرها[4].

وقد أشار الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه[5] إلى أن القالي، نقل إلى كتابه الأمالي كثيرا من قصص النساء، وما يتعلق بأخبار فصاحتهن ونوادرهن وصفاتهن... من (بلاغات النساء) لأبي الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور (ت 280هـ) غير أن المقارنة بين الكتابين تشير إلى أن المتشابه فيهما من هذه القصص والأخبار قليل من جهة، كأخبار أبي الأسود الدؤلي[6] مع زوجته وقصة الملكة من حمير حب النساء

---

(1) أبو على القالي وأثره ص 239 : انظر زهر الآداب وثمر الألباب أبو اسحاق الحصري: تحقيق على محمد البجاوى ط1 مصر 1953م ج1 ص 261

(2) النثر الفني في القرن الرابع: د. زكي مبارك – القاهرة – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ ج1 ص 243

(3) المرجع نفسه ج1 ص 243

(4) ذكر ابن خير أن ما أدخله القالي من أخبار ابن دريد وسماعه 58 جزءاً

(5) مناهج التأليف عند العلماء العرب ص 361

(6) أبو على القالي وأثره ص 240 وانظر الأمالي ج2 ص 12 – بلاغات النساء – أبو الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور – بيروت ص 71-74 1962م

لها الزواج[1]، وقصة المرأة تمدح زوجها لأمها[2]، وقصة عبد الملك بن مروان مع عزة كُثير[3]، وأبيات أم عمرو ترثي أخاها ربيعة[4]، وقصة رملة بنت معاوية التي افتخر عليها زوجها[5]، وقصة خطبة هند بن عتبة[6] وقصة المرأة التي ترثى الأحنف بن قيس[7] ، وقصة أم قطن التي قتل ولدها[8] ، وقصة المرأة التي نزل عليها معاوية[9]، وقصة ابنة الخس وسؤالها عن احب الرجال والنساء[10].

ومن خلال المقارنة بين الكتابين والفروق في هذه الأخبار بين القالي وابن طيفور تدحض بما لا يقبل الشك أن يكون القالي قد نقل عن ابن طيفور[11] وهذه الفروق تتلخص في الآتي:

1/ أن سند رواية القالي لهذه الأخبار، ليس فيه ذكر لطيفور ولو مرة واحدة.

2/ أن صياغة القصة في الأمالي تختلف – إلا نادرا – عنها في كتاب (بلاغات النساء) وإذا أردنا الدليل على ذلك، ذكرنا[12] من الأمثلة قصة ابنة الخس، فإنها في "البلاغات" مروية عن ابن الأعرابي، وتقع في سبع صفحات متصلة، وأبطالها ثلاثة أشخاص، هند، وجمعة ابنتا الخس، والقلمس[13] الذي يدير الحوار بينهما، فسأل الواحدة عن الإبل وما تحبه وتبغضه منها، ثم يسأل الأخرى السؤال نفسه، فإذا أجابتا عن ذلك واستحسن ما قالتاه، سألهما بالطريقة نفسها عن النوق، وذكور الخيل وإناثها، وعن المعزى، والسحاب، والنساء، والرجال ثم تختم القصة بطائفة من الأشعار

---

(1) الأمالي ج1 ص 80 البلاغات ص 124
(2) نفس المصدر ج1 ص 221 – البلاغات ص 121
(3) نفس المصدر (2/ 107) – البلاغات ص 226
(4) نفس المصدر (3/ 12)– البلاغات ص 246
(5) الأمالي -(1/ 221)– البلاغات ص 200
(6) نفس المصدر (2/ 104)– البلاغات ص 206
(7) نفس المصدر (27/3) – البلاغات ص 75
(8) نفس المصدر (3/ 41) – البلاغات ص 249
(9) نفس المصدر (2/ 193) – البلاغات ص 176
(10) نفس المصدر (3/ 107- 119) – البلاغات ص 83
(11) أبو علي القالي ص 240
(12) المرجع نقسه
(13) القلمس: الرجل الخير المعطاء . والسيد العظيم والرجل الداهية . القاموس – مادة (قلس)

تتباريان فيها في موضوعات شتى. وأخيراً لا يستطيع القلمس إلا أن يحكم لهما معا دون أن يفضل إحداهما على الأخرى.

فإذا التمسنا هذه القصة في الأمالي، وجدناها قصتين لا قصة واحدة:

الأولى[1]: رواها القالي عن أبي بكر محمد بن أبي الأزهر عن الزبير بن بكار في حوالي نصف صفحة، وتدور حول سؤال والد ابنة الخس ابنته عن أشياء عدة ثم عن النساء والرجال، وهي تجيب عن ذلك ومن ذلك: (قال لابنة الخُس أبوها يوماً: أي شئ في بطنك ؟ اخبريني به وإلا ضربت رأسك، فقالت: أرأيتك إن أخبرتك بما في بطني أيكُف ذاك عني عذَابك اليوم ؟ قال: نعم، قالت: أسفْله طعام، وأعلاه غلام، فاسأل عما شئت. قال: أي المال خير؟ قالت: النّخْل، الراسخاتُ في الوحل، المطْعمات في المحل، قال: وأي شئ؟ قالت: الضأن مريةُ لا وباء بها، نُنْتجِها رخَالا[2]، وتَحلُبها علالا، وتَجز لها جفَالا[3]، ولا أرى مثلها مالاً ، قال: فالإبل مالِك تُؤَخرينها ؟ قالت: هي أذكار الرجال وأرقاء الدماء، ومهور النساء، قال: فأي الرجال خير...؟)[4]، ثم يسألها والدها عن النساء والرجال، وهي تجيب عن ذلك.

وتوجد القطعة الثانية لهذه القصة في الأمالي[5] في اقل من صفحة – وهي تدور حول سؤال بعض الأعراب لابنة الخُس عن أي الرجال أحب إليها، وقد رواها القالي بسند آخر ينتهي إلى احمد بن يحيى ثعلب عن عبد ا بن شبيب عن داود بن إبراهيم الجعفري عن رجل من أهل البادية قال: (قيل لأبنه الخُس أي الرجال أحب إليك؟ قالت: السهل النّجِيب، السمح. الحسيب، النّدب الأريب، السيد المهيب، قيل لها:

---

(1) الأمالي ج3 ص 107

(2) الرخال: جمع رخل بالكسر: الأنثى من ولد الضأن

(3) أي تجز مرة، وذلك أن الضائنة إذا جزت لم يسقط من صوفها شئ إلى الأرض حتى يؤتي عليه. الأمالي ج3 ص 107

(4) الأمالي ح3 ص 107

(5) الأمالي ج3 ص 119

فهل بقى أحد من الرجال أفضل من هذا؟ قالت نعم، الأهيف الهفْهاف، الأَنَفَ العياف، المفيد المِتْلاف، الذي يخِيف ولا يخَاف. قيل لها: فأي الرجال أبغض إليك ؟ ...)[1].

فالقصتان اللتان ذكرهما القالي – لا تتفقان – في شئ من العبارات والألفاظ والصياغة والسند والأشخاص مع قصة ابن طيفور[2]، إلا ما كان من الموضوع العام الموحد، دون الجزيئات وصيغة السؤال المتشابه في قصة ابن طيفور.

وهذه القصص ومثيلاتها قريبة الشبه بالأساطير والخرافات ومن ذلك إذا بحثنا في الأمالي لوجدنا كثير من ذلك وعلى سبيل المثال قصة: حديث خُنَافِر بن التوءم الْحِميرى مع رئيه شصار ودخوله في الإسلام بارشاد رئيه[3].

وقصة: حديث عمرو بن معديكرب مع حبي وقتله بعلها وما وقع له مع ابنه الخزز[4].

وقصة: حاتم وما اشتهر به من السماحة والنجدة وما وقع له مع زوجته ماوية[5].

وغيرها من القصص التي ملأ بها كتابه وهي كما ذكرنا قريبة الشبه بالأساطير، مع ما عرف به القالي من الجدية فيما يطرقه، ومن التثبت فيما يحفظه ويرويه.

والواقع أن موقف أبي على من هذا الموضوع، لم يكن إلا موقف المحايد القائل بالتسليم. فقد ذكر الودغيري في كتابه قائلاً: "فلم أقف له على تعليق يفيد شيئاً من الشك والارتياب، إلا عبارة ختم بها مرة أو مرتين بعض هذه القصص فقال: "وا

(1) الأمالي ج3 ص 119
(2) راجع القصة في البلاغات ص 257
(3) الأمالي ج1 ص 134
(4) المصدر نفسه ج3 ص 150
(5) المصدر نفسه ج3 ص 152

سبحانه وتعالى اعلم، فهل نحكم إذن، على عقلية القالي بأنها عقلية ساذجة أو خرافية؟ أم نتلمس له الأعذار ونبرئ ساحته"[1].

وعلى كل حال فهذه القصص التي أوردها القالي في رأي لم يكن الهدف منها سوى التسلية والتشويق فهي تساعد على أداء الأغراض الأدبية واللغوية بصورة مسلية تؤدي إلى الهدف المنشود. فهي تتناسب مع الأمالي التي كان يقدمها لطلابه.

كما أننا لا نستطيع أن نجرد هذه القصص التي حكاها القالي عن طبيعتها الأدبية، بل هي قطع أدبية ولا جدال. ويجب أيضاً أن لا نخرجها من الإطار الذي أراد القالي أن يقدمها فيه، وهو إطار يخدم الهدف التعليمي. وحينذاك فلا مجال لرفض هذه النصوص، إذ ليس الخيال الأدبي مما يهتم فيه بصدق الوقائع أو كذبها، فلست مستطيعا أن تقول لشاعر: أنت كاذب، في صورة من صوره الخيالية البديعة، ولا كذلك القصاص. ولما كان القالي يبحث عن الصيغة اللائقة المحببة التي يقدم بها لطلابه تلك المفردات الجافه، والألفاظ الحوشية الغريبة من اللغة اضطر إلى هذه القصص التي تتوفر على عناصر فنية كالتشويق، وتصور مرحلة من مراحل النثر العربي القديم[2]. فاختارها لتتناسب مع الأشعار التي قدمها، ولتكون بإزائها، تكمل هدفها، وتساعدها في أداء الأغراض الأدبية واللغوية والتعليمية، والناس بعد ذلك في حاجة إلى أن يعرفوا صورة عن النثر القصصي بالإضافة إلى نثر الخطابة والرسالة والمثل... إذن فليس القالي ملوما إذا هو غض الطرف عن أصل هذه القصص، واهتم بها وأثبتها في كتابه، ولاسيما انه كان يخدم غايتين بذلك: غاية مهنية، وغاية بعيدة تتمثل في كونه احتفظ لنا بنصوص أدبية تصور مرحلة من مراحل النثر العربي، والقصة خاصة.

ثالثا : الأمثال :

---

(1) أبو على القالي وأثره ص 242
(2) أبو على القالي وأثره ص 242

لأبي على عناية بالأمثال، سابقة على تأليف الأمالي، فقد روى فيها كثير من الكتب والرسائل الخاصة التي أدخلها إلى الأندلس، ككتاب الأمثال لأبي عبيد ، وكتاب الأمثال للأصمعي وكتاب الأمثال لأبي زيد ، فضلا عما استفاده ورواه في كتب اللغة والأدب الأخرى كالغريب المصنف، والجمهرة، وأدب الكتاب، وكتب الأمالي والنوادر التي لا تخلو في العادة من أمثلة متعددة للأمثال العربية وقصصها ونجد أن القالي يعني بوضع تأليف صغير في نوع خاص من الأمثال وهو كتابه "افعل من كذا.." فلذاك لا تستغرب إذا كنا نجد في الأمالي، من الأمثال ما يزيد على مئة وسبعين مثلاً. روى أغلبها عن الأصمعي، ثم عن أبي زيد، وأبي عبيدة، وابن دريد، وروى قدراً قليلاً آخر عن غيرهم.

ودور هذه الأمثال في كتاب لا يقل أهمية عن القصص والأشعار. فالمثل نوع جميل من القول المأثور السائر على الألسنة، يستخدم في الاستشهاد أحياناً على ألفاظ اللغة وغريبها ويرتبط المثل غالبا – بقصة تحكي الظروف التي ناسبت قوله. بل يظهر أن كثيرا من القصص الخاصة بالأمثال، لم يوضع في أصله إلا ليكون شرحا لها. وفي الأمالي بعض أمثلة قليلة لهذا النوع من قصص الأمثال، على سبيل المثال: قولهم: "أبرماً قَروناً"[1] ويقال: كان رجل برماً فجاء إلى امرأته وهي تأكل لحما فجعل يأكل بضعتين بضعتين، فقالت له امرأته: أبرماً قَروناً" فارسلتها مثلاً.

ومن أمثالهم قال الأصمعي: "أعن صبوحٍ تُرقق" وكان المفضل الضبى يخبر بأصل هذا المثل، قال: كان رجل نزل بقوم فأضافوه وغَبَقُوه، فلما فرغ قال: إذا صبحتموني غدا كيف آخذ في حاجتي، فقيل له عند ذلك: (أعن صبوحٍ تُرقق؟[2]) وإنما أراد الضيف أن يوجب عليهم الصبوح.

[1] الأمالي ج1 ص 19
[2] المرجع نفسه ص 19

ومن النوع الثاني: الذي يستخدم في الاستشهاد على ألفاظ اللغة وغريبها، قولهم[3]: وإنّه لـ ""اخْرقُ من حمامة" وذلك أنها تبيض بيضا على الأعواد البالية فربما وقع بيضها فتَكسر. وقال أبو بكر بن دريد: العرب تقول: هو "أظْلَم من أفعى" وذلك أنها لا تَحتَفِر حجرا إنما تَهجم على الحيات في حجرتها وتدخل في كل شَق وثَقْب. ومن أمثالهم: "لا تَهرف بما لا تَعرف" والهرف: الإطْناب في الثناء والمدح قال أبو زيد[1]: ومن أمثال العرب "لا يعدم عائس وصلاتٍ" يقال ذلك للرجل الذي قد أرمل من الزاد والمال فَيلْقى الرجل فينال منه الآخر حتى يصل إلى أهله. قال ومن أمثالهم: "ما أَنْتَ إلا كابنَة الجبل مهما يقّلْ تَقُلْ" وذلك إذا تكلْمتَ فَرد عليك إنسان مثل كلامك، يريد الصدى الذي يجِيبك بما تتكلم به ومن أمثال العرب "عود يعود العنْج".

والعنْج: الرياضة. قال: ومن أمثال العرب: "نَعِيم كلْبٍ في بؤْس أهله" ويقال بِئس أهله، ويقال: بئس أهله، لغتان. يضرب مثلاً للرجل يأكل مال غيره فَيسمن وينَعم، وأصله أن كلباً سمِن وأهزل الناس لأكل الجِيف فأهله بائسون[2].

ومن أمثال العرب التي ذكرها القالي قال أبو علي قال الأصمعي من أمثال العرب: "اِسق رقَاش إنها سقّاية" يضرب مثلاً للمحسِنين، يقول: أحسنوا إليه لإحسانه. قال ومن أمثالهم خَرقاء عيابة يضرب مثلاً للأحمق ، أي انه احمق وهو ذلك مع ذلك يعيب غيره.

ومن أمثالهم: "كل مجرٍ بالخَلاء يسر" أن الرجل يجري فَرسه بالمكان الخالي لا مسابِق له فيه، فهو مسرور بما يرى من فِرسه ولا يرى ما عند غيره، يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ولا يشعر بما في الناس من فضائل.

والأمثلة على ذلك كثيرة في الأمالي[3] مع شرح غريبها والاستشهاد بها.

---

(3) المرجع نفسه ص 12

(1) الأمالي ج2 ص 28

(2) المصدر نفسه ج2 ص 29

(3) انظر الأمالي ج1 ص 11، 28، 51، 77، 89، 192، 220

هكذا سارت الأمثال في الأمالي لتكون شاهداً على ألفاظ اللغة وغريبها كما ارتبط أحيانا بقصة تحكى الظروف التي ناسبت قول وذكر ذلك المثل.

رابعا: رسائل وخطب العرب:

لم يخل كتاب الأمالي أيضا من نماذج كثيرة من رسائل وخطب العرب في العصر الجاهلي والإسلامي، فبعضها منسوب لخلفاء بني أمية كمعاوية وعمر بن عبد العزيز، أو بعض ولاتهم وعمالهم. وفى هذا المجال أيضا تدخل العظات، والوصايا، والحكم الموجزة المختصرة التي تهدف إلى تهذيب الأخلاق والسمو بالروح والوجدان، ومن هذه الخطب والحكم والوصايا.

- ومن هذه الحكم والوصايا بعد ذكره السند قال حدثنا الأصمعي قال. قال عروة لبنيه[1]: "يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه ما يستحى أن يهديه إلى حريمه، فإن ا أكرم الكُرماء، وأحق من اخْتِير له. وكان يقول: يا بني، تَعلّموا العلم، فإنكم إن تكونوا صِغار قوم فَعسى أن تكونوا كُبراءهم، واسوءتا! ماذا أقبح من شيخ جاهل ؟...إلخ".

- ومما ذكر لأبي عبيدة أنه قال: وجد في حكمة فارس قال: إني وجدت الكُرماء والعقلاء يبتغون إلى كل صِلَةٍ ومعروف سببا، ورأيت المودةَ بين الصالحين سريعا اتصالها، بطيئا انقطاعها ككُوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثَلْم أو كسر، ورأيت المودةَ بين الأشرار بطِيئا اتصالُها سريعا انقطاعها، ككُوب الفَخّار، إن أصابه ثَلْم أو كسر فلا إعادة له، ورأيت الكريم يحفظ الكريم على اللّقاءة الواحدة ومعرفة اليوم، ورأيت اللئيم لا يحفْظَ إلا رغَبَةً أو رهبةً.

- وقال بعض الحكماء: لابنه: يا بني، اقبل وصيتي وعهدي، إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار كسرعة اختلاط قطر الماء بماء الأنهار، وبعد قلوب الفجار من

---

[1] الأمالي ج1 ص 240

الائتلاف، كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافُها على آرى[1] واحد، كن يا بنَي بصالح الوزراء أَغْنَى منك بكثرة عدتهم، فإن اللؤلؤة خفيف محمِلُها كثير ثمنها، والحجر فادح حملُه قليل غَنَاؤه.

- أما أشهر الحكم في الأمالي تلك التي نسبت إلى الأحنف قال أبو علي بعد ذكر سنده قال: قال الأحنف بن قيس: الكذُوب لا حيلة له والحسود لا راحة له والبخيل لا مروءةَ له ، والملُول لا وفاء له، ولا يسود سئُ الأخلاق، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلا أن يكتُم ذلك ويتَجمل.

وغيرها من الوصايا والحكم التي زيّنَتْ بها موضوعات الأمالي وهي تهدف إلى تهذيب الأخلاق والسمو بالروح وتدعو إلى مكارم الأخلاق.

- أما الخطب فكثيرة في كتاب الأمالي ولكن أشهرها منسوب إلى خلفاء بني أمية كمعاوية وعمر بن عبد العزيز ومن ذلك ما حدثنا أبو بكر بن الأنباري[2] قال: يقال إن عمر بن عبد العزيز رحمه ا تكلم بهذا الكلام في خطبته: "ما الجزع مما لابد منه، وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما سيزول! وإنما الشئُ من أصله، فقد مضتْ قبلَنا أُصولٌ نحن فُروعها، فما بقاء فرعٍ بعد أصله..."[3].

- أما رسائل العرب في الجاهلية والإسلام فقد جاء ذكرها في الأمالي ومن ذلك على سبيل المثال كتاب عمر بن الخطاب رضي ا عنه إلى ابنه عبد ا في غَيبةٍ غابها قال: "أما بعد، فإنه من اتقى ا َ وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى جِلاء بصرك وعِماد ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نيةِ له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له"[4].

---

[1] الآرى: (بتشديد الياء وتخفيفها): الأخية، وهي مربط الدابة
[2] الأمالي ج2 ص 100
[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها
[4] المصدر نفسه ج2 ص 55

- ومن كتاب على بن أبي طالب إلى ابن عباس رضي ا عنهما بموعظة من أحسن المواعظ قال أبو علي حدثنا أبو بكر بن دريد قال: بلغني عن ابن عباس قال: كتب إلى على بن أبي طالب رضي ا عنه بموعظة ما سررت بموعظة سروري بها![1] أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوتَه، ويسوءه فَوتُ ما لم يكن ليدركه، فما نالك من دنياك فلا تكِثر به فَرحا وما فاتك منها فلا تتْبِعه أَسفا، فليكن سرورك بما قَدمت، وأَسفُك على ما خَلّفت، وهمك فيما بعد الموت.

-ومن أبلغ ما حدثنا القالي به في الأمالي كلام خطيب من الأزدِ لما بعث الحجاج خطباء من الأحماس إلى عبد الملك، قال أبو بكر[2]: بعث الحجاج خُطباء من الأحماس إلى عبد الملك فتكلّموا، فلما انتهى الكلام إلى خطيب الأزدِ قام فقال: قد علمتِ العرب أنا حي فعال، ولسنا بحي مقَال، وأَنا نَجزى بِفعلنا عند أحسن قولهم، إن السيوفَ لتُعرفُ اكُفّنا ، وإن الموت ليستَعذب أرواحنا، وقد عِلمت الحرب الزبون إنّا نُقْرع جِماحها، ونَحلُب صراها ثم جلَس.

-أما آخر خطبة خطبها معاوية رضي ا عنه بعد أن صعِد المنبر فحمد ا وأثنى عليه ثم قبض على لحيته وقال: "أيها الناس، إنى من زرعٍ قد اسَتْحصد، وقد طالتْ عليكم إمرتي حتى مللْتُكم ومِللتمونى، وتمنيتُ فراقكم وتمنيتم فراقي، وانه لا يأتيكم بعدي إلا منْ هو شر مني، كما لم يأتكم قَبلي إلا من كان خيرا مني، وإنه من أحب لقاء ا ُ أحب ا ُ لقاءه، اللهم إنى قد أحببتُ لقاءك فأحِبب لقائي. ثم نزل فما صعد المنبر حتى مات[3].

هكذا كانت الأمالي مليئة بالوصايا والحكم والرسائل والخطب تزخر بكل نفيس من ألوان البيان حتى الحكام والأمراء كانوا من الفصحاء والبلغاء.

(1) الأمالي ج2 ص 94
(2) الأمالي ج2 ص 255
(3) المصدر نفسه ج2 ص 311

خامسا: الأخبار التاريخية الهامة:

شهد القرن الرابع بالأندلس، أحداثا ذات قيمة تاريخية هامة شكلت البيئة التي استقبلت القالي وجنت منه ثمرات علمه، ولقد كان من نتائج استقرار الدولة الأموية بالأندلس واكتمال عظمتها السياسية أن لُفت الأنظار إليها... من كل جانب وكان من ثمار ذلك رحلة المشارقة إلى الأندلس، وكان أشهر الذين رحلوا في القرن الرابع إلى الأندلس بالإضافة إلى أبو علي القالي كثير من الكتاب والوزراء والأدباء والشعراء الوافدين على جزيرة الأندلس الذين أسهموا في تكوين حركة علمية، أصبحت أساسا النهضة الحديثة في عصر الخلافة. فالأحداث التاريخية التي عاصرها القالي سواء كان ذلك في بغداد – قبل قدومه – أو في الأندلس ووجدت مساحة في كتابه الأمالي. فكثير من موضوعات الكتاب والقصص والأخبار والخطب والوصايا والرسائل تُشير إلى هذه الأحداث. فمن ذلك خطبة عبد الملك بن مروان[1] لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير: هذه الخطبة تشير إلى قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وذلك بعد أن وجه إليه جيشاً بعد جيش فكانوا يهزمون فلما طال ذلك عليه واشتد غمه أمر الناس فعسكروا، ودعا سلاحه فلبسه قال أبو علي[2]: يذكر قصة خروج عبد الملك بنفسه لقتال مصعب قال: فلما أراد عبد الملك الركوب قامت إليه أم يزيد ابنه – وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية – فقالت يا أمير المؤمنين، لو أقمت وبعثتَ إليه لكان الرأى، فقال: ما إلى ذلك من سبيل، فلم تزل تمشي معه وتكلمه حتى قرب من الباب، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حشَمها معها، فلما علا الصوتُ رجع إليها عبد الملك فقال: وأنتِ أيضا ممن يبكِى! قاتل ا كثيرا، كأنه كان يرى يومنا هذا – فذكر بيتين لكُثير[3] – ثم عزم عليها بالسكوت وخرج.

[1] الأمالي ج1 ص 11
[2] المصدر نفسه ج1 ص 13
[3] المصدر نفسه ص 13

خرج عبد الملك على مصعب بن الزبير وقتله ودخل الكوفة وصعد المنبر، وخطب في الناس[1].

من هذه الخطبة نستطيع أن نسجل بعض الوقائع التاريخية التي حدثت، فالأمالي تسجيل أمين لهذه الأخبار التاريخية الهامة.

كما جاء في الأمالي تسجيل لبعض الأخبار كقدوم وفد العراق على معاوية وسؤاله لدغفل عن مسائل وذلك عندما قَدِم وفْد العراق على معاوية رضي ا عنه وفيهم دغْفَلٌ، فقال له معاوية: يا دغفل، أخبرني عن ابنَي نزارٍ ربيعة ومضر أيهما كان أعز جاهلية وعالمية ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مضر بن نزار كان أعز جاهلية وعالمية، قال معاوية، وأي مضر كان أعز ؟ قال بنو النضر بن كنانة كانوا أكثر العرب أمجادا، وأرفعهم عمادا وأعظمهم رمادا... إلى أن يسأله معاوية قائلا: فاخبرني عن تميم قال كانوا أعز العرب قديما وأكثرها عظيما وامنعها حريما قال فاخبرني عن قيس قال: كانوا لا يفرحون إذا أُديلوا، ولا يجزعون إذا ابتُلوا، ولا يبخلون إذا سئلوا...الخ الحديث.

فمن خلال هذا النص نقف عند قبائل العرب في الجاهلية والإسلام وأي القبائل كان أكرم وأفضل وأيهم كان أرفع مكانة وأعظم شأن. من خلال موضوعات متفرقة في الأمالي.

-ومن تلك الأخبار: قال أبو علي أخبرنا أبو عبيدة قال: مات الأحنف بن قيس بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير إلى قتال المختار – فنزل دار عبد ا بن أبي عصيفير الثقفي، فلما حملت جنازته ودلى في قبره، جاءت امرأة من قومه... فوقفت على قبره فقالت: درك من مجن في جنن ومدرجٍ في كفَن، إنا وإنا إليه راجعون، نسأل ا الذي فَجعنا بموتك وابتلانا بفقدك، أن يوسع لك في قبرك، وان يغفر لك يوم حشرك ثم أقبلت بوجهها على الناس...

[1] راجع الخطبة الأمالي ج1 ص 11

ومن خلال وفاة الأحنف بن قيس نقف على بلاغة النساء في الجاهلية والإسلام فهذه المرأة البدوية التي وصفت الأحنف بالشرف والحلم والعطف والسؤدد والرأي السديد كانت ترسل كلماتها بعبارة فصيحة بليغة تدل على موروثات هذه البيئة.

وفي كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان في أمر قَطَرى بن الفُجاءة المازني قال أبو علي[1]: كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعظّم أمر قَطَرى بن الفَجاءة فكتب إليه عبد الملك أوصِيك بما أوصى به البكْري زيداً فقال الحجاج لحاجبه: ناد في الناس: من اخبر الأمير بما أوصى به البكْري زيدا فله عشرة آلاف درهم، فقال رجل للحاجب: أنا اخبره فأدخله عليه، فقال له: ما قال البكري لزيد ؟ قال: قال لابن عمه زيد – والشعر لموسى بن جابر الحنفي:

أقول لزيد لا تُتَرْتِر[2] فإنهم
يرون المنايا دون قتلك أو قتلى
فإن وضعوا حرباً فَضعها وإن أبوا
فَشُب وُقود الحرب بالحطَب الجزل
فإن عضتِ الحرب الضروس بنابها
فَعرضة نار الحرب مِثْلُك أو مثلى

فقال الحجاج: صدق أمير المؤمنين، عرضه نار الحرب مثْلِى أو مثله.

فمن خلال هذه النصوص الأدبية الواردة في الأمالي نستطيع أن نوثق لبعض الأحداث السياسية التي حدثت للأمراء والخلفاء والوزراء والعلماء وغيرهم كخروج محمد بن عبد ا بن الحسن على الدولة العباسية[3]، ووفاة الحجاج بن يوسف

(1) الأمالي ج3 ص 71
(2) الترترة: إكثار الكلام. اللسان مادة "ترتر" ص 98
(3) الأمالي ج3 ص 120

الثقفي[1]، وما وقع بين معاوية وأهل المدينة لما أراد البيعة ليزيد[2] ودخول زياد ابن أبيه الكوفة وغيرها من الأخبار[3].

سادسا: الطرفة والملحة للتسلية:

لم تكن الطرفة والفكاهة هدفا من أهداف الكتاب الرئيسة، وإنما كان القالي يبحث عن الطريقة اللائقة المحببة التي يقدم بها لطلابه تلك المفردات اللغوية الجافة والألفاظ الحوشية الغريبة من اللغة، فيضطر إلى التسلية والطرفة بهدف الترويح على طلابه، واختار نصوصها لتساعد في أداء الأغراض الأدبية واللغوية والتعليمية، وطلابه في حاجة إلى أن يروحوا عن أنفسهم ساعة بعد ساعة، والقالي بطبعه رجل ذا خيال خصب وروح مرحة خلاقة.

ومن طريف ما ذكره في الأمالي عن الأصمعى قال: اشترى أعرابي خمراً بجزةٍ من صوف فغضِبتْ عليه امرأته فأنشأ يقول[4]:

-غَضِبتْ على لأن شَربتُ بصوفٍ

ولئن غَضبتِ لأشربن بخَروف

-ولئن غَضِبتْ لأشربن بنعجة

دهساء مالئه الإناء سحوف

-ولئن غَضِبتْ لأشربن بناقةٍ

كوماء ناوية العظام صفُوفْ

-ولئن غَضِبتْ لأشربن بسابحٍ

نَهِدٍ أشم المنْكِبين منِيف

---

(1) الأمالي ج3 ص 171

(2) المصدر نفسه ص 175

(3) المصدر نفسه ص 185

(4) المصدر نفسه ص 150

قال أبو علي: الصفوف: التي تصف بين رجليها عند الحلب والسحوف: التي لها سحفَتان من الشحم – أي القَشْعرة.

- وجاء في مطلب أسماء الزوجة[1] قول الشاعر:

شر قَرينٍ للكبير بعلتُه

تُولغُ كلباً سؤره أو تَكْفتُه

ويعني: أن امرأته قد تَقَذرتْه حين كبر، فإذا شَرِب لَبنَا وبقى سؤره – والسؤر بقية الشراب في الإناء – تُولِغُه كلبا أو تَكْفِته، أي تَقْلِبه على الأرض.

-ومن أنواع التسلية ما يعرف في العصر الحديث بأغاني التراقيص "أو الأمهودات"[2] – فقد ورد في الأمالي كثير من هذه التراقيص فحدثنا أبو بكر قال حدثني عمى عن أبيه عن هشام قال: قالت: هند بن عتبة، وهي تُرقص ابنها معاوية:

إن بنى معرقُ كريم

محبب في أهله حلِيم

ليس بفَحاش ولا لئيمِ

ولا بطُخْرورٍ ولا سؤم

صخْر بنى فهرٍ به زعيم

لا يخلِف الظن ولا يخِيم[3]

- ومن أروع الوصف ما قاله الزبير بن عبد المطلب يصف ابن أخيه النبي صلى ا عليه وسلم وهو صبى فاقعده في حجره، وقال:

محمد بن عبدم * عِشْتَ بعيشٍ أَنْعِم* ودولةٍ ومغْنِم

في فَرع عز أَسنِم* مكرمٍ معظَمِ* دام سجِيس الأزلِم

---

[1] الأمالي ج1 ص 20

[2] أي: أغاني المهد وهي أغاني التراقيص . انظر أدب الأطفال – على الحديدي ص 17

[3] يَخيم: يَجْبنُ أو يَخِيب

ثم دخلت على الزبير ابنته أم الحكم فقال:

يا حبذا ُأم الحكم

كأنها ريم أحم

يا بعلها ماذا يشَمّ

ساهم فيها فَسهم

قال أبو بكر[1]: ثم دخلت عليه جارية له يقال لها أم مغِيث، فقالت: مدحت ولْدك وبنى أخيك ولم تَمدح ابنى مغيثاً، فقال: على ِبه عجليه، فجاءت به، فقال:

وإن ظنى بمغيثٍ إن كبر

أن تسرق الحج إذا الحج كثُر

ويوقِر الأعيار من قِرفِ الشجر

ويأمر العبد بليل يعتَذِر

مِيراث شَيخ عاش دهراً غَير حرّْ

قال أبو علي: سألت أبا بكر عن " يعتَذِر"

فقال: يصنَع عذيرةً، وهي طَعام من أطعمة الأعراب:

قال أبو علي[2]: وقد جمع يعقوب هذا الباب في كتاب "المنطق" فأكثر.

-أما خبر مجنون ليلى لما سار به أبوه إلى بيت ا الحرام من طرائف الأمالي وذلك أن أبا المجنون قال له حين سار به إلى بيت ا الحرام – وكان أخرجه ليستَشْفِى له – تَعلقْ بأستار الكعبة، وقُل: اللهم أرحنى من لَيلَى ومن حبها، وتُب إلى ا مما أنت عليه، فتعلّق المجنون بأستار الكعبة وقال: اللهم من على بلَيلَى وقُربها، فزجره أبوه وجعل يعنّفه فأنشأ يقول[3]:

---

[1] الأمالي ج2 ص 115، 116

[2]) المصدر نفسه ص 115

[3] المصدر نفسه ج2 ص 127

يقر بعينى قُربها ويزِيدني

بها عجبا من كان عندي يعِيبها

وكم قائل قد قال تُب فَعصيته

وتلك لعمرى تَوبةُ لا أتوبها

قال أبو بكر وزادنا غيره:

فيا نفس صبراً لستِ وا فاعلمى

بأول نَفْس غاب عنها حبِيبها

-ومن طريف الهجاء، هجو بعض الأعراب لأولاده قال أبو بكر بن دريد قال:

أعرابي يهجو بنيه:

إن بنِى كُلهم كالكلْبِ

أبرهم أولاهم بسـبى

لم يغن عنهم أدبى وضربي

ولا اتساعِى لهم ورحِبى

فليتَني مِت بغير عقْبٍ

أو ليتني كنُتَ عقِيم الصلْبِ

وقد ورد في الهجاء[1]، هجاء حضين بن المنذر ابنه غياظا قائلاً:

وسميتَ غَياظا ولست بغائظٍ

عدواً ولكن الصديقَ تَغِيظُ

فلا حفِظَ الرحمن روحك حية

ولا هي في الأرواح حين تَفِيظُ

[1] انظر مبحث الهجاء من هذا البحث وانظر الأمالي ج2 ص 198

-ومن طرائف القصص ما حدثنا أبو بكر رحمة ا تعالى... قال أخبرني أبو عبيدة قال[1]: تزوج رجل من بنى عامر بن صعصعة امرأةً من قومه، فخرج في بعض أسفاره ثم قدم، وقد ولدت امرأتُه وكان خَلفها حاملا، فنظر إلى ابنه فإذا هو أحمر غَضب، أزب الحاجِبين، فدعاها وانْتَضى السيفَ وأنشأ يقول:

لا تَمشُطي رأْسِي ولا تَفْلِيني   وحاذرى ذا الريق[2] في يمينى

واقْـتَربى دونَكِ اخـْبرينى   ما شَـأنه احـمر كـالهجـين

خَالفَ ألوان بنى الجون

فقال تجيبه:

إن لـه مـن قِـَبلى أجـدادا   بيـَض الوجـوه كـرماً أنْجادا

ما ضرهم إن حضروا مجادا   أو كافحوا يوم الوغَـى الانْدادا

ألا يكون كونُهم سوادا

نلاحظ أن الطرفة والتسلية معظمها قد يأتي قصة أو مثل أو شعر وتناقش قضايا اجتماعية كالزواج والأبناء والحب والجهاد والفخر والهجاء وغيره.

-ومن ذلك حديث رجل من الأعراب تزوج اثنين وقد قيل له من لم يتزوج اثنين لم يذق حلاوة العيش، قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو بكر قال اخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قيل لأعرابى: من لم يتزوج امرأتين لم يذُقْ حلاوةَ العيش، فتزوج امرأتين ثم نَدِم، فأنشأ يقول:

- تَزوجت اثنتين لفَرط جهلي

بما يشْقَى به زوج اثنتين

- فقلت أصِير بينهما خَروفا

أُنعم بين أكـرم نَعجـتَين

[1] الأمالي ج1 ص 35

[2] ذو الريق: السيف ، يقال له ذلك لكثرة مائه

- فِصرتُ كنعجةٍ تُضحِى وتُمسى

تُداولُ بين أخْبثِ ذِئْبتَين

-رضا هذِي يهيج سخْطَ هذِي

فما أعرى مِن إحدى السخْطَتَين

-وألْقي في المعيشةِ كُل ضر

كـ ذاك الضر بيـ ن الضرتَين

-لِهذى ليلة ولتلك أُخْرى

عِـ تَاب دائم فـ ي الليلـ تَين

-فان أحببت أن تَبقى كريماً

من الخيرات مم ـ أوء اليدين

فَعِشْ عزبا فإن لم تَستَطِعه

فَضرباً في عِراض الجحفْلين

-ومن الطرائف القصيرة قال أبو على[1] جاءت امرأة تَستَعدِى على زوجها، وذكرت انه واقع جاريتها، فقال الرجل لبنى كليب: هي سوداء وجاريتها سوداء وفي عينَى قَدع، ويضرب الليلُ بأوراقه فآخذ مادنَا.

-والشواهد على ذلك كثيرة في الأمالي ولذلك ألحق القالي بكتابه الأمالي. مادة ادبية رفيعة أطلق عليها اسم "النوادر".

---

[1] الأمالي ج3 ص 34

الفصل الثاني
الظواهر اللغوية والصوتية في الأمالي

ويشتمل على الموضوعات التالية:

المبحث الأول: الظواهر اللغوية والصوتية في الأمالي:

تشمل:

1/ الأثر المعجمي

2/ شرح الغريب

3/ الإتباع

4/ الإبدال

5/ الاشتقاق

6/ التضاد

7/ القلب

المبحث الثاني: الظواهر النحوية والصرفية في الأمالي

المبحث الأول
الظواهر اللغوية في الأمالي

مقدمة :

إن الحديث عن تأثير القالي في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، هو حديث عن التأثير الثقافي المشرقي في المغرب ابتداءاً بدخول العرب الفاتحين، واستجلابهم للكتب التعليمية والموسوعات وتبنى مناهج الشرق في التدريس والتلقين ثم زاده نماء، تشجيع الخلفاء والأمراء الأمويين العرب المحافظين على ثقافة الأسلاف وتراثهم.

فالعلماء الذين رحلوا إلى الأندلس وتم على يدهم جميعاً نقل الثقافة العربية المشرقية بكتبها ومؤلفاتها وعلى رأسهم القالي، قاموا بإثراء هذه الثقافة ونمائها وتوجيهها.

1/ الأثر المعجمي :

نشأت الدراسات اللغوية في بدايتها ضعيفة، لا تستطيع أن تعتمد على نفسها، أو تنفرد بوجودها، ثم أخذ المهتمون بها يغذونها بأقوالهم وأبحاثهم، فقويت ونمت، إلى أن استطاعت الوقوف والاستقلال بنفسها، ثم بلغت مرحلة الفتوة والنضج وفى هذه المرحلة الأخيرة ظهرت المعاجم.

وقد ذهب أحمد أمين إلى أن هذه الدراسات سارت في مراحل ثلاثة:

الأولى: جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك، فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع.

الثانية: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضوع... والذي دعا إلى ذلك في اللغة – على ما يظهر – أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى، فأرادوا تحديد معانيها، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضوع واحد، وتوجت هذه المرحلة بكتب تؤلف

في الموضوع الواحد، فألف أبو زيد كتاباً في المطر، وكتاباً في اللبن، وألف الأصمعى كتباً كثيرة صغيرة، كل كتاب في موضوع.

الثالثة: وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص، ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة[(1)].

يقول احمد أمين معرباً عن حيرته في تطبيق هذه المراحل عمليا "هذه هي المراحل الثلاث الطبيعية لجمع اللغة... وكانت كل مرحلة من هذه المراحل تسلم إلى ما بعدها، ولا يعكر على هذه الفكرة إلا أن الخليل واضع الفكرة الثالثة، كان أسبق زمناً من أبي زيد والأصمعى واضعي الفكرة الثانية، ولكن نجيب عن هذا بأن الثلاثة تعاصروا زمناً طويلاً، فالخليل عاش من (100هـ-175هـ) والأصمعي من (122هـ -213هـ) وأبو زيد توفى سنة 215هـ عن بضعة وتسعين عاما، فقد عاشوا زمناً طويلاً، وربما سبق الأصمعى وأبو زيد بالتأليف في المفردات، وبأن الخليل – على ما عليه أكثر المحققين – وضع الفكرة فقط، ولم يستطع أن يملأها وينفذها من قاربه في الزمن مثل الأصمعى وأبي زيد، لأن فكرة الخليل كانت طفرة في التفكير، وكانت قبل زمانها، فلم يستطع أن يملأها وينفذها إلا من أتى بعد أبي زيد. لهذا لا تزال فكرة التسلسل معقولة صحيحة"[(2)].

وبعد هذه الفترة توالت المعاجم العربيةٍ على اختلاف مدارسها واتجاهاتها، ولقد أثرت في الدراسات اللغوية جميعا حتى عصرنا هذا.

أما في القرن الثالث الهجري. فقد كان التأليف المعجمي قد توصل إلى طريقة أسهل من طريقة العين في ترتيب الحروف على يد أبي بكر بن دريد وتعتمد الطريقة على الألفباء البسيطة، وتهمل الترتيب الصوتي الذي ابتدعه الخليل. وكانت "الجمهرة في اللغة" قد انتشرت بين الناس وتعددت نسخها، وأخذها القالي نفسه رواية من أستاذه

(1) ضحى الإسلام لأحمد أمين دار الكتاب العربي بيروت، 2005م ط1 ج1 ص 263
(2) المرجع السابق – ج2 – ص 270

الدريدي فكان الظن أن أحدا لن يعود ليرتقي المراقي الصعبة التي صعدها الفراهيدي، ويترك طريقاً أوضح وأسهل، ولكن القالي آثر تلك الصعوبات وعاد إلى القرن الثاني ليقتبس من الخليل رغم احتكاكه الشديد بشيخه ابن دريد وتأثره به في أماليه وباقي كتبه الأخرى عندما قصد تأليف كتابه "البارع".

وأول ما يلفت نظرنا في كتاب الأمالي، هو احتواؤه على مجموعة من المواد اللغوية، يسهل ضمها في معجمين صغيرين، يكون أولهما الألفاظ، وثانيها للمعاني أو الموضوعات.

فمما هو داخل في معجم الألفاظ، مواد كثيرة موزعة في تضاعيف الكتاب، ونجد أمثلة ذلك كـ مطلب الحديث على مادة [نسأ، لحن، حرد، ثمل، نجد، حفر، ضرع، عور، عقل، قرف، غفر، أسر، عرض، ربع، خاف، حسب، عقب، خال، درأ، شعف، شغف، بشر، خفي، خيف، خوف، أكل، وتر، حلا، حال، غرر، جأب، جبأ].

وذلك في الجزء الأول من كتاب الأمالي. أما في الجزء الثاني نجد من أمثلة هذه المواد [هجر، عدا، جنب] وغيرها.

فهذه الأمثلة وغيرها، هي النواة الأولى لمعجم القالي الكبير الذي ألفه فيما بعد. وأما في الأمالي فانه كان يجعل من أغلب هذه المواد، أساسا يدور حوله المجلس الذي يعقده للإملاء. وقد بدأ أول مجلس له بالحديث عن مادة (نسأ) وأوجه استعمالها في القرآن، والحديث، والشعر. ثم انتقل منها على مادة (لحن) بشتى معانيها، ضاربا على ذلك الأمثلة المتعددة أيضاً من الشعر، والقرآن، والأقوال المأثورة، والأحاديث الشريفة والقصص والأخبار. وهكذا ينتقل إلى الحديث إلى مادة أخرى من الألفاظ.

وأما المواد التي تندرج تحت معجم المعاني، أو الموضوعات، فقد كانت هي الأخرى موضع عناية كبرى من القالي نذكر منها – على سبيل المثال – ترتيب [أسماء الزوجة، أسنان الإبل وترتيبها، أسماء الرجل الذي يحب محادثة النساء، أسماء الشخص، والألوان، والشئ البالي، أسماء تدل على الغضب، أوصاف الرجل الذي لا

يملك شيئاً، ما يقال في معنى (لا أفعل ذك أبدا)، ما يقال في معنى(أخذت الشئ كله، ما يقال في معنى ما بالدار أحد] هذا في الجزء الأول من الأمالي. أما الجزء الثاني فنذكر كذلك: [أسماء القداح، الكلمات التي جاءت بمعنى أصل الشئ، الكلمات التي تدل على الكسر، الألفاظ التي تفيد معنى (الثبات والإقامة)، الكلمات التي تقال في الدعاء على الإنسان، أوصاف أكرم الإبل، ما يقال في قصر الفرس وطولها، أوصاف الفرس المستحبة، ما في الفرس، من أسماء الطير، أسماء القيم على المال].

فهذه الأبواب التي نجدها عادة في معاجم المعاني كالغريب المصنف لأبي عبيد، والمخصص لابن سيدة، هي التي كانت بلا شك نواة تأليفه الأخرى في الخيل، والإنسان، والإبل، وغيرها.

2/ شرح الغريب:

إن دراسة الغريب في اللغة مرتبطة أيما ارتباط بمعرفة غريب القرآن الكريم، وغريب الحديث النبوي.

والمعروف عند اللغويين أن أول من يعزى إليه كتاب في غريب القرآن هو عبد ا بن عباس المتوفى سنة 68هـ، ويعتقد أن هذا الكتاب كان يضم بعض الأقوال التي أدلى بها ابن عباس في تفسير الغريب من ألفاظ القرآن، وأنه لم يكن هو الذي دونها في كتاب، وإنما بعض رواة هذه الأقوال، فإن أحدا من مترجمى ابن عباس لم ينسب إليه مثل هذا الكتاب، وإنما نسبوا إليه الأقوال الكثيرة في التفسير وحده، مروية لا مدونة[1].

وقد فعل ذلك الأمر السيوطي في الإتقان حين دون في عدة صفحات أقوال ابن عباس من رواية ابن جرير عن المثنى عن عبد ا بن صالح عن على بن طلحة[2].

---

[1] المعجم العربي نشأته وتطوره – للدكتور حسين نصار- مكتبة مصر – ص 33
[2] معجم الأدباء ج1 ص 108

كذلك نسب بعض المؤرخين كتابا في غريب القرآن إلى الأمام زيد بن على المتوفى سنة 122هـ.

ولقد ألفت بعد ذلك كتب كثيرة في غريب القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري والقرن الخامس الهجري وما بعدهما.

أما غريب الحديث فلم يبدأ التدوين فيه مع نظيره غريب القرآن بل تأخر كثيرا، وإن كان من المحتمل أن الكلام فيهما بدأ في وقت واحد، فقد رأينا كتابا في غريب القرآن ينسب إلى عبد ا بن عباس لكننا لم نجد كتباً في غريب الحديث تنسب إلى هذا الحبر أو احد معاصريه، أو تلاميذه المباشرين[1].

ولم يكن القالي يستقصى غريب القرآن وغريب الحديث بهدف إقامة دراسة في هذا العلم ولم يكتب في غريب القرآن أو الحديث فلم يكن هذا اهتمامه وإنما اتخذ من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، شواهد وحجة على اختلاف القراءات والاحتجاج، كما راعى فيها القصر مع أداء الغرض.

وكثيراً ما كانت هذه الآيات والأحاديث مما يفتتح به مجالسه العلمية، كما نشاهد ذلك "في أول الكتاب" ويجعلها أساسا لشروحه وتفسيراته وما يستنبطه من لغات وأقوال، فهي لا تختلف في غايتها عن أي نص من الشعر أو النثر.

ومن خلال قراءاتي المتعددة لكتاب الأمالي وجدت القالي لم يترك الاستشهاد بالقرآن والحديث النبوي الشريف رغم قلة المستشهد به من هذه الأحاديث والآيات فقد كانت مجموع الآيات والأحاديث – ما بين العشرين والثلاثين حديثا، أما الآثار الموقوفة على الصحابة وعلى من دونهم من التابعين أكثر من هذا العدد، مما يمكن أن نعتبره استشهاداً بالغريب كظاهرة في كتابه.

---

(1) انظر: الفهرست لابن النديم – طبع ليبسيك سنة 1871م ص 45 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي – طبع بمصر سنة 1349هـ ج2 ص 405

ويمكن أن نعده من أوائل اللغويين الذين استشهدوا بالقرآن والحديث- بغض النظر عن المواقف المتباينة في جواز الاستشهاد بنصوص الأحاديث الشريفة في مسائل اللغة من عدمه، وحجية كل فريق.

وما استشهد به في مجال اللغة عند قوله تعالى: (ما نَنسخْ مِن آيةٍ أو نُنسِأها)[1] على معنى أو نؤخرها. يقول: والعرب تقول نَسأ ا ُ في أجلِك، وأنْسأ ا ُ أجلَك، أي أخّر ا أجلك.

وقال النبي صلى ا عليه وسلم: "من سره النساء في الأجل والسعةُ في الرزق فَلْيصِلْ رحمِه" والنساء: التأخير، يقال بِعتُه بِنَساء وبنسِيئة، أي بتأخير، وأنْسأته البيع، وقال ا تعالى: (إنما النسِيء زيادةٌ فِي الْكُفْر)[2]. [3]

إذن نجد أن القالي في الغالب يشرح ما لابد من شرحه ويذكر ما يحضره من الأوجه الممكنة للكلمة الغريبة معتمدا على أقوال اللغويين وآرائهم وقد يطول هذا الشرح حتى يأتي على صفحات متعددة في الأحاديث وغير الأحاديث وذلك كما فعل في شرح غريب حديث الجواري الخمس اللائي وصفن خيل آبائهن[4]، وفى شرحه لقصيدة صفوان الأسدى[5] والأمثلة عديدة، وربما خالف العادة، فأتى بقصائد وأخبار طويلة دون أن يعمد إلى لفظة واحد فيجلو غامضها، أو يدل على غريبها[6].

على أن المؤلف ليس ملوما حين يطيل في شرح الغريب وتفسيره، ما دام الكتاب يؤدي أغراضا تعليمية.

---

[1] سورة البقرة – الآية (106)
[2] سورة التوبة – الآية (37)
[3] الأمالي ج1 ص 4
[4] المصدر نفسه ص 187
[5] المصدر نفسه ج2 ص 237
[6] انظر مثالا على ذلك: (ص 216 إلى ص 222) من الجزء الثالث الأمالي

3/ الاتـبـاع :

أشار القالي إلى اهتمامه بظاهرة الاتباع في مقدمة كتابه فقال: "...على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورد أحد، وفسرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر،..."[1].

ولقد صدق القالي وعده حين قال في المقدمة، بأنه سيأتي بما لم يفسره أحد من الاتباع، فقد عقد لذلك فصلا من نحو عشر صفحات[2]، وجمع فيه الكثير من الأمثلة المشروحة، ناقلا عن اللحياني، والأصمعي، ويونس بن حبيب وابن الأعرابي، وشيخه ابن دريد الذي سبقه إلى عقد باب خاص بالإتباع في "جمهرة اللغة".

وقد ألف في ظاهرة الإتباع اللغوية من معاصري القالي. كل من أبي الطيب اللغوي الحلبي (ت 251هـ) صاحب كتاب "الاتباع"، واحمد بن فارس (ت 395هـ) صاحب كتاب "الاتباع والمزاوجة"، على أن هذين العالمين كانا مسبوقين بمؤلف آخر في القرن الثالث الهجري، هو أبو حاتم السجستاني (ت 255هـ) الذي وضع بدوره كتابا خاصا في الاتباع ذكره ابن النديم، وفى المزهر للسيوطي باب من اثنتي عشرة صفحة، جمع فيه المؤلف أقوال المتقدمين والمتأخرين المنثورة بمصنفاتهم في موضوع الاتباع[3]. على أن السيوطي نفسه (ت 911هـ) مال إلى التأليف في ذلك فاختصر كتاب ابن فارس وزاد فيه ما فاته، وسماه (الالماع) في الاتباع[4].

وكتاب الإتباع لابن فارس مرتب ترتيباً هجائياً على حسب الأصل الأخير من الكلمة.

ومصطلح الاتْباع يقصد به الصيغ الوصفية التي تتبع الكلمة الأولى بلا رابط، على حين أن الصيغ الفعلية التي تربط بالكلمة الأولى برابط، أو تكون وحدها جملا

(1) مقدمة الأمالي ج1 ص 3
(2) الأمالي ج2 ص 208- 218
(3) المزهر ج1 ص 414
(4) نفس المصدر

مستقلة تسمى بالمزاوجة[1] يعني أن الاتباع تأكيد الكلمة بضم كلمة أخرى إليها لا معنى لها في ذاتها، غير أنها تساويها في الصيغة والقافية بغرض الزينة اللفظية وتأكيد المعنى والكلمة الثانية تسمى كلمة (الاتْباع) ويقسمها اللغويين العرب، بحسب معناها، إلى ثلاثة أقسام:

(أ)كلمة الاتباع لها معنى واضح، يدرك بسهولة، من قولهم: هنيئا مريئا.

(ب)كلمة الاتباع لا معنى لها على الإطلاق، ولا تستخدم وحدها، مثل: شيطان ليطان، وحسن بسن.

(ج)كلمة الاتباع لها معنى متكاف مستخرج من الأولى، مثل خبيث نبيث[2].

يقول أبو على: "الاتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأولى فيؤتى به تأكيداً، لأن لفظه مخالف للفظ الأول، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول"[3].

أما القالي فيجعل الاتباع صنفين:

صنف يستفاد منه معنى التأكيد، وهو أن يكون الثاني بمعنى الأول ومثاله (أسوان أَتوان) في الحزن، فأسوان من قولهم: أسى الرجل يأسى أسى إذا حزن، ورجل أسيان وأسوان أي حزين. وأتْوان من قولهم: أتَونُة آتُوه بمعنى أتيته آتيه وهي لغة لهذيل فمعنى قولهم: أسوان أتوان حزين متردد، يذهب ويجئ من شدة الحزن وقولهم (قسيم، وسيم)، (حسن ، بسن) (هنيئا، مريئا) والنوع الثاني قولهم: (عطشان، نطشان)، (شيطان ، ليطان) والنوع الثالث (عِيى، شَيِئ)، (عريض، أَريض) (خَبيثُ، نَبيثَ) (خَفِيفُ ، ذَفِيفَ).

النوع الثاني لا معنى له على الإطلاق وكلمة الإتباع فيه لا تستخدم وحدها.

أما النوع الثالث فكلمة الاتباع لها معنى متكاف مستخرج من الأولى.

---

[1] فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي القاهرة ص 247

[2] المرجع نفسه ص 248

[3] الأمالي ج2 ص 208

وقد تحايل القالي في كلمة (بسن) حتى وجد لها معنى وجعلها من بستْ السويقَ أبسه فهو مبسوس إذا لَتَتّه بسمن.

قال أبو علي: يجوز أن تكون النون في بسنٍ زائدة، كما زادوا في قولهم امرأة خَلْبن وهي الخَلابة.

وقد تحايل القالي على كلمة (بسن) كما ذكرنا وجعلها من بس السويقَ ثم لم يكتف بذلك حتى أضاف إليها النون، إلى أن آل أمرها إلى (حسن كامل الحسن) وحين لم تقنعه هذه الحجة أضرب عنها لأخرى وهو أن تكون النون بدلاً من حرف التضعيف، لأن حروف التضعيف تُبدل منها الياء مثل تَظَنيتُ وأشباهها، مما قد مضى، فلما كانت النون من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة وكانت من حروف البدل كما أن الحاء من حروف البدل، أُبدِلت من السين إذ مذهبهم في الإتباع أن تكون أواخر الكلام على لفظ واحد مثل القوافي والسجع ولتكون مثل حسنٍ[1].

فهذه الإضافات اقتضتها جمالية السجع المحببة في مثل هذه الجمل التي تتردد على الإسماع وتنزل منزلة الأمثال في سيرورتها وظروف قولها.

وما اكثر ما تدعونا الضرورة إلى ارتجال مثل هذه الكلمات في حديثنا اليومي، لنزخرف بها أقوالنا.

فإذا رددناها إلى أصولها من لساننا الذي نتكلم به لم نجد لها أصلا.

على أن المرء لابد أن يحتاط في القول، إذ لا يمكن أن نطلق هذا الحكم على كل أمثلة الإتباع. ففيها ما هو قابل بالبداهة أن يكون الثاني فيه بمعنى الأول، ولكن من غير حاجة إلى تأويله بالطرق الصعبة التي حاولها القالي في أكثر ما قال معتمداً على معرفته واطلاعه الواسع على نادر اللغة وغريبها، مما جعل البكري في القرن

---

[1] الأمالي ج2 ص 216

الخامس الهجري، يقف منه ساخرا[1] إذ يقول: "هذه هزرمة وحِجاج مفحمةً، أما قوله: أن النون في بسن زائدة كزيادتها في خَلْبن وعلْجن فشاذُ لا نظير له، لان بسن من ذوات الثلاثة وهي لا تحتمل الزيادة لما كانت اقل الأصول. وأما ....إلخ"[2].

فمن كلام البكري نرى أن القالي ذهب به التكلف مذهب النحاة في البحث عن العوامل، وأتى بحجج أوهى من حججهم، جعلت البكري يقف منه ساخرا كما رأينا.

فمن باب الإتباع ما ذكره القالي في الأمالي حين روى عن أبي عمرو الشيباني قوله: "مهلاً وبهلاً": إتباع. قال والقَرهم والقَرهب: السيد، قال أبو علي والقَرهب أيضاً الثّور المسِن.

وقد استفاد من مادة القالي المجموعة في هذا الباب "الاتباع" مجموعة من العلماء المهتمين باللغة فيما هو منثور عنده بين الحين والآخر في ثنايا شروحه للنصوص الأدبية واللغوية.

وقد تباينت الآراء حول تفسير معنى الإتباع والتوكيد، والمزاوجة فلم يرد القالي أن يدخل نفسه في التعرض لها أو مناقشتها.

4/ الإبــدال:

عرف ابن فارس الإبدال بقوله: "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض"[3] ومثل لذلك بقولهم: مدحه ، ومدهه، وفرس رِفَلّ ورِفَن ، إذا كان طويل الذنب. وهذا النوع من النظائر اللغوية في الحقيقة، هو ما يدرس عادة في باب الاشتقاق الأكبر، وهو أن تشترك كلمتان في باقي الحروف وتختلفان في حرف واحد كـ حنك – حلك ، وصلت – وسلت.

وغالبا ما يراعى في ذلك تقارب المخرجين بين الحرفين اللذين وقع بينهما التعاقب كالحاء والهاء والنون واللام، لذلك نرى ابن جني لا يقبل من الإبدال إلا ما

---

[1] أبو على القالي وأثره ص 226

[2] التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه – ص 113

[3] المزهر ج1 ص 460

كان فيه التصاقب اللفظي واضحاً. كأز وهز، وعسف وأسف، لما كانت الهمزة أخت الهاء وكذلك العين أخت الهمزة. فالتصاقب اللفظي عنده شروط في التصاقب المعنوي[1] غير أن بعض اللغويين توسعوا كثيرا حين فتحوا الباب على مصراعيه وقالوا: انه لا نكاد نجد حرفا إلا وفيه إبدال[2]. وبذلك أصبح الناس في مأمن من الرمى بالتصحيف ما دام بالإمكان أن نقول: حاس وجاس، والزحاليف والزحاليق[3] والطخرور والطحرور... وما إلى ذلك مما دأب على ايراده اللغويون حتى توغلوا واكثروا.

ولهذا نرى أن النحويين والصرفيين احترسوا كثيرا عندما عرفوا الإبدال وحصروه في حروف معدودة واختلفوا في تحديدها فمن تعريفاتهم: هو إقامة حرف مكان آخر في الكلمة، أو هو: ارتباط بعض المجموعات الصوتية ببعض المعاني ارتباطا عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلي، والنوع الذي تندرج تحته. وحينئذ متى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية ببعض المعاني على ترتيبها الأصلي فلابد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة سواء احتفظت بأصواتها نفسها أم استعاضت عن هذه الأصوات، أو بعضها بحروف آخر تقارب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات[4].

ومن أمثلته عندهم: طنّ، ودن، نَعق ونَهق جزم وجزل، والسراط والصراط. ومنه أيضا استبدال الدال بتاء الافتعال في نحو ادعى ، أصلها ادتعى، قلبت تاء الافتعال دالاً وادغمت الدال في الدال.

---

(1) الخصائص – أبو عثمان ابن جني ، تحقيق محمد على النجار – ط1 مصر 1956م ج3 ص 145
(2) المزهر للسيوطي ج1 ص 461
(3) الزحاليف والزحاليق: اثر تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل جمع زحلوفة وزحلوقة الأمالي ج2 ص 178
(4) دراسات في فقه اللغة – صبحي الصالح – ص 210

جعل سيبويه حروف الإبدال ثمانية بالإضافة إلى حروف العلة الثلاثة. وهي عنده: الهمزة، والهاء، والتاء، والدال، والطاء، والميم، والجيم، والنون[1].

وهي عند ابن هشام في أوضح المسالك تسعة فقط جمعها في قوله: (هدأت موطيا)[2]، وهي عند غيرهما تزيد وتنقص. وقد كان القصد من تقييد الإبدال بهذا العدد القليل أو ذاك من الحروف، أنهم راعوا الكثرة والاشتهار، ولم يريدوا انه لم يقع البدل في شئ من الحروف سوى ما ذكر[3].

وهكذا نرى أن الإبدال قسمان:

الأول: الإبدال الصرفي أو النحوي:

وهو أن تقيم مكان حروف معينة، حروف أخرى بغية تيسير اللفظ وتسهيله، أو الوصول بالكلمة إلى الهيئة التي يشيع استعمالها، كإبدال الواو ألفا في نحو "صام" أصلها "صوم"، أو كإبدال الطاء من التاء في "اصطنع" وأصلها "اصتنع"، وقد اهتم الصرفيون اهتماما كبيرا بهذا النوع من الإبدال، فاختلفوا في عدد حروفه – كما رأينا.

الثاني: الإبدال اللغوي:

وهو أوسع من الإبدال الصرفي، بحيث يشمل حروفاً لا يشملها الإبدال الأول.

وقد اختلف اللغويون في مفهوم الإبدال، فوسع بعضهم دائرته، فقال: إن هذا النوع من الإبدال يشمل جميع حروف الهجاء.

وضيق هذه الدائرة آخرون، فاشترطوا أن تكون هذه الحروف المتعاقبة متقاربة المخرج، وان تكون إحدى اللفظتين أصلا للأخرى لا لغة في الثانية.

وبما انه يتعذر اليوم التمييز بين ما هو أصل وما هو فرع في مثل: نعق نهق، سقر وصقر، طن ودن، الشارب والشاسب، الجزم والجزل، وعلى الرغم مما وضعه

---

[1] أبو علي القالي وأثره ص 228 انظر الكتاب لسيبويه – ط1 – بولاق 1316هـ ج2 ص 313

[2] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. لأبي محمد بن هشام – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة – بيروت 1966م ج3 ص 312

[3] أبو علي وأثره ص 228، وانظر شرح المفصل: لموفق الدين بن يعيش، المطبعة المنيرية، مصر – بدون تاريخ ج10 ص 6

اللغويون والنحاة من قواعد لهذا التمييز، فإن بعض الباحثين يرى أن الإبدال الحقيقي يجب أن تتوافر فيه الشروط الآتية:

1. قرب مخارج الحروف المتعاقبة.
2. الترادف أو شبهه
3. وحدة القبيلة التي يدور في لسانها اللفظان المبدلان[1].

أما القالي فقد أتى على نفس التقسيم السابق للإبدال – لغوي – نحوي أو صرفي، فقال: "واللغويون يذهبون إلى أن جميع ما أمليناه إبدال، وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو وإنما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفا. تسعة من حروف الزوائد، وثلاثة من غيرها. فأما حروف الزوائد فيجمعها قولنا "طال يوم أنجدته"، وهذا أنا عملته"[2] فالطاء تبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الضاد، نحو قولك: اضطَهد، وكذلك إذا كانت بعد الصاد في مثل اصطَبر وبعد الظاء أيضا في افتعل- كما في أظطلم واطرح، فالتاء تبدل طاء في باب الافتعال بعد حرف من أحرف الإطباق الأربعة- والألف تبدل من الياء والواو إذا كانتا لامين في مثل رمى وغزا. وإذا كانتا عينين في مثل نام وقام، والعاب والماء...الخ[3].

ثم شرع بعد ذلك في تفصيل المواضيع التي يكون فيها الإبدال بين الحروف الأثني عشر التي ذكرها، بادئاً بالطاء ومنتهياً بالهاء. وعند النظر فيما ذكره – في مقدار صفحة ونصف –[4] من هذا الإبدال النحوي. لم نلاحظ فيه جديد عما ألفنا أن نجده في كتب النحاة. بل أن القالي، صورة مكررة لما أتى به سيبويه في الباب الذي سماه (هذا باب حرف البدل...) من الكتاب[5]، رغم انه لم يشر إلى ذلك.

---

[1] ولمزيد من البحث ومعرفة قواعد النحاة في هذا ينظر شرح شافية بن الحاجب للرضي ج3 ص 197، 198. دار الكتب العلمية بيروت، والسكاكي في كتابه: مفتاح العلوم ص 29، المطبعة الميمنية – القاهرة
[2] الأمالي ج2 ص 186
[3] المصدر نفسه ص 186
[4] ما بين (ص 186-187) من الأمالي ج2
[5] الكتاب لسيبويه ج2 ص 313-314

ذلك هو الإبدال النحوي في كتاب القالي أما الإبدال اللغوي، فانه آثر أن يكون موزعاً خلال الجزء الثاني من أماليه ما بين صفحتين (22-186) وقد فصله القالي على النحو التالي: -سنذكر مجموعة منها على سبيل المثال – الحروف التي وقع فيها الإبدال

(الصاد والضاد)[1] ، (الفاء والتاء)[2]، (اللام والنون)[3]، (الميم والباء)[4]، (العين والحاء)[5]، (الهمزة والهاء)[6]، (السين والتاء)[7]، (إبدال الباء جيما في لغة فقيم)[8].

والقائمة طويلة في الجزء الثاني من الأمالي، فمن هذه القائمة الطويلة، نرى أن القالي كاد يأتي على كثير مما ذكره السابقون له في هذا الباب. وهو لا ينسى أن يشير إلى بعضهم مثل الأصمعي الذي نقل عنه أغلب الأمثلة[9]، واللحياني، وأبي عمرو الشيباني، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن السكيت، وأبي عبيدة، وثعلب، وابن دريد، والفراء، وابن الأعرابي... ولقد اهتم العلماء من قديم بالتأليف في الإبدال، سواء منهم الذين خصصوا له أبواباً أو الذين اكتفوا بذكر أمثلة متفرقة منه حال مرورهم بها عرضا، كثعلب في أماليه.

على أن بعضهم خص هذا الباب برسائل مفردة نذكر منها على سبيل المثال[10]، كتاب (القلب والإبدال) للأصمعي، وكتاب (القلب والإبدال لابن السكيت (ت 246هـ)- وهو من الكتب التي أدخلها القالي معه للأندلس وكتاب (الإبدال والمعاقبة والنظائر) لأبي القاسم الزجاجي (ت 337هـ)، وكتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي (ت بعد 350هـ).

(1) الأمالي ج2 ص 22
(2) المصدر نفسه 34
(3) المصدر نفسه 41
(4) المصدر نفسه 52
(5) المصدر نفسه 67
(6) المصدر نفسه 68
(7) المصدر نفسه 68
(8) المصدر نفسه 77
(9) أبو علي القالي وأثره ص 230
(10) المرجع السابق ص 230

إذن الإبدال ظاهرة خطيرة في لغتنا، تقبلها فريق بصدر رحب، واعتبرها وسيلة من وسائل نماء اللغة وثرائها وتطورها، ورأى فريق آخر من الفائدة ما يساعد على وضع المصطلحات العلمية الحديثة، لوجود فروق دقيقة بين كل لفظين وقع فيهما الإبدال[1]. وقد كان القدماء أول من تفطن لوجود مثل هذه الفروق ومنهم القالي والذي أورد نماذج منها وسنذكر بعض الأمثلة على هذه الفروق:

1/ وذلك عندما لاحظ القالي الفرق بين اللفام واللثام. قال الفراء: "اللثام على الفم، واللفام على الأرنبة"[2] .

وقال أبو علي: قال أبو زيد[3]: اللّثام على الفَمِ. واللّفام على طَرف الأنف، يقال تَلثمت المرأة وتَلفمت المرأة، وكذلك مثل الحنك والحاك، قال أبو زيد: الحاك اللون، والحنك: المنسر، أي المنقار.

وهناك الذين رأوا بإزاء هذا، أن الإبدال ليس سوى نتيجة تعدد اللهجات. فتقول قريش مثلا "كَشَطْتُ" بينما تقول أسد وتميم وقيس "قَشَطْت" أي نزعت الجلد. وفى مصحف ابن مسعود: قُشِطَتْ. قال ويقال[4]: قحط القِطَار، وكحط ويقال: قَهرت الرجلَ أَقْهره وكهرته أكهره. قال وسمعت بعض غنم بن دودان تقول: فلا تَكْهر[5].

وقد يكون الإبدال مجرد كلمات مترادفة. فقد قال المازني: سمعت أبا سِرار الغَنَوى يقرأ (فَحاسوا خِلاَل الديارِ) فقلت: إنما هو جاسوا فقال حاسوا وجاسوا واحد[6]... وقال الكسائي: يقال: أحم الأمر وأجم إذا حان وقتُه. ويقال رجل محارف ومجارف. قال: وهم يحِلبون عليك ويجِلبون أي يعينون. قال الأصمعي: إذا حان وقوع الأمر قيل: أجم، يقال أَجم ذلك الأمر فهو قُدر، ولم يعرف أَحم بالألف[7].

---

(1) مقال بعنوان: "الإبدال أو الاشتقاق الكبير" للأستاذ عز الدين التنوخي، مجلة مجمع اللغة العربية "دمشق ج1 المجلد 35 سنة 1960م

(2) الأمالي ج1 ص 42

(3) المصدر نفسه ص 42

(4) المصدر نفسه ج2 ص 139

(5) المصدر نفسه ص 139

(6) المصدر نفسه ص 78

(7) المصدر نفسه ص 78

والقالي في كل ما قام به من جمع للأمثلة والأقوال ورواياتها جهد كبير فإنه فيما قام به من جمع ورواية وضبط فضيلة لا يستهان بقدرها حتى إذا لم يكن دارسا أو فقيهاً لغوياً.

فإذا كان ابن السكيت في رسالته "القلب والإبدال" قد جمع ثلاثة مئة كلمة فقط، مما يقع بين كل كلمتين منها إبدال[1]، فإن في كتاب القالي من هذه الكلمات ما يفوق ذلك بكثير، ويضاعفه حتى يصل إلى نحو السبعمائة كلمة[2]، بين كل حرفين من كل كلمتين تعاقب وإبدال. مع ميزة أخرى وهي الإكثار من الشواهد الشعرية، ولاسيما في الكلمات التي وردت شاذة ونادرة من لهجات القبائل. فهذه المادة الغزيرة المجموعة الموثقة، تصلح أن تكون مجال درس من طرف العلماء المهتمين بأسرار اللغة العربية.

5/ الاشـتقـاق:

الاشتقاق: هو أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا، أو هيئة كضارب من ضرب، وحِذِر من حذَر...[3]

وقيل هو: إنشاء مركب من مادة يدل عليها وعلى معناها[4].

وقيل: الاشتقاق: أخذ صورة من أخرى بينهما ارتباط في اللفظ والمعنى ليدلّ بالثانية على معنى الأصل وزيادة هي الغرض من الاشتقاق، وذلك نحو: ضرب، أخذ منها ضارب، ومضروب...الى آخر المشتقات[5].

والمشتق في اصطلاح الصرفيين هو: ما أخذ من غيره ليدل على ذات وحدث له ارتباط بتلك الذات[6].

---

[1] من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة – القاهرة 1972م ص 69
[2] أبو علي القالي وأثره ص 231
[3] انظر المزهر للسيوطي ج1 ص 346
[4] انظر همع الهوامع للسيوطي، ج3 ص 408
[5] انظر تصريف الأسماء للدكتور/ محمد زين العابدين ص 19
[6] انظر التبيان في تصريف الأسماء للدكتور/ احمد كحيل ص 31

ونعني بالارتباط أن يكون بينهما اتصال ما، سواء أكان على جهة الوقوع منها، أم عليها أم فيها، أم بواسطتها، والمشتق بهذا التحديد يشمل: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم الزمان ، واسم المكان، واسم الآلة، نحو: ضارب، ومبيع، وحسن، وأفضل منه، وموعد، ومِبرد[1].

والمشتق عند النحويين: ما أخذ من المصدر ليدل على حدث وصاحبه، وعلى ذلك فالمشتق عند النحويين أربعة: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، أما أسماء الزمان والمكان والآلة فهي من الجوامد.

أما المشتق عند اللغويين فهو: كل ما أخذ من غيره سواء دلّ على ذات وحدث معا أو لا، فيشمل اسم الفاعل، واسم المفعول ، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، وأسماء الزمان والمكان والآلة، كما يشمل نحو عقار – الخمر – وغراب وجرادة وهي أسماء أعيان، لأنها مأخوذة من العقر والاغتراب – والجرد.

فالمشتق عند اللغويين أعم منه عند الصرفيين والنحويين، وعند الصرفيين، أعم منه عند النحويين[2].

وإنما سمى ما أخذ من غيره على هذا الوجه مشتقا، لأنه فرع من الجامد، والفرع يكون فيه معنى الأصل، فكأنك تشقه لتستخرج منه معنى الأصل.

والاشتقاق الأصل فيه أن يكون من المصادر، وأصدق ما يكون من الأفعال المزيدة، والصفات منها، وأسماء المصادر، والزمان والمكان، ويغلب في العلم، ويقل في أسماء الأجناس، كغراب يمكن أن يشتق من الاغتراب، وجراد من الجرد.

فمعظم الاشتقاق إنما هو من المصدر، وقد يكون من أسماء الأعيان مثل: نرجست الدواء، فهو منرجس، وفلفلت الطعام فهو مفلفل، وأورق الشجر فهو مورق، وذهبت الإناء فهو مذهب، مشتقة من النرجس والفلفل والورق والذهب.

---

(1) انظر التبيان في تصريف الأسماء للدكتور/ احمد كحيل ص 32

(2) المرجع السابق ص 31

على أنه يقتصر في الاشتقاق من أسماء الأعيان على السماع، وأجاز المجمع اللغوي العربي القياس على ما سمع للحاجة الداعية إلى ذلك.

وقد ذهب الكوفيون إلى أن الفعل أصل المشتقات ومنها المصادر واستدلوا على ذلك بأدلة منها أن المصدر يتبع فعله صحة وإعلالا، فإذا صح الفعلُ صح المصدر، نحو: لاوذ لواذا، وإذا أعل الفعل أعل المصدر، نحو قام قياما، وشأن الفرع أن يتبع الأصل، ورد عليهم بأن هذه التبعية لا تدل على أصالة الفعل، وإنما هي للمشاكلة اللفظية، كما حدث في يعد، إذ حذفت لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة، ثم حملت أعد وتعد ونعد على يعد.

هذا على انه قد اختلف في الاشتقاق الاصغر هذا، فقال الخليل وسيبويه وطائفة: بعض الكلام مشتق وبعضه غير مشتق، وقال طائفة من اللغويين المتأخرين: كل الكلام مشتق، ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج، وقالت طائفة من النظار: الكلام كله أصل. والقول – الأواسط – أي كل الكلام مشتق – تخليط لا يعد قولا، لأنه لو كان كل منهما فرعا للآخر لدار أو تسلسل. وكلاهما محال، بل يلزم الدور عينا، لأنه يثبت لكل منها انه فرع، وبعض ما هو فرع لابد أنه أصل، ضرورة أن المشتق كل راجع إليه أيضا، لا يقال: هو أصل وفرع بوجهين، لأن الشرط اتحاد المعنى، والمادة، وهيئة التركيب، مع أن كلا منها حينئذ مفرع عن الآخر بذلك المعنى[1].

أما القالي في أماليه فالمتتبع له خلال شروحه للنصوص اللغوية والأدبية، يلحظ ولوعه في هذا الكتاب بالاشتقاق العام أو الصغير أشد وأكثر من ولوعه به في "المقصور والممدود"[2]. لأن كتاب الأمالي أفسح مجالاً من سابقه، وأغزر مادة ونصوصا. والأمثلة على ذلك كثيرة في الأمالي نذكر منها على سبيل المثال، قال في

---

(1) تصريف الأسماء ص 32

(2) أبو علي القالي وأثره ص 232

تفسير كلمة (لفت)[1]، قال أبو علي ولَفَته: لواه واللِفيتة: العصِيدة، وإنما سميت لَفِيتةً لأنها تُلْفَت، أي تُلْوى.

وقال أبو زيد[2] السبحلة: الطويلة العظيمة،، ورجل سِبحل، وقال الأصمعي: نَعتَت امرأةُ من العرب ابنتها فقالت: سبحلةُ ربحلة[3] * تَنْمِى نَبات النخْلة

ويقال سقاء سِبحل وسبحلَل وسحبلٌ، أي عظيم.

وقال في تفسير كلمة (الطخاء) الواردة في الحديث الشريف: (اكل السفرجل يذهب بطخاء القلب)[4].

قال حدثنا عمرو بن أزهر الواسطى عن أبان عن أنس قال قال النبي صلى ا عليه وسلم: "أكلُ السفَرجل يذْهب بطخاءِ القَلْب" قال أبو بكر: الطخَاء: الثقَلُ والظلْمة يقال: ليلةُ طَخْياء وطَاخيةُ. قال أبو علي: الطخَاء الغيم الكثيفَ وقال لم أسمع الطخاء الغيم الكثيف إلا منه[5]، فأما الذي عليه عامةُ اللغويين فالطخَاء الذي ليس بكثيف[6]، والأمثلة على ذلك كثيرة في الأمالي[7].

نرى أن القالي ربط بين معاني الكلمة، وجعلها من أصل واحد، وهو تحليل الشئ وتغطيته، والقالي في مسألة الاشتقاق كان متأثراً بشيخيه الزجاج وابن السراج[8].

6/ التضاد:

إذا أطلق اللفظ على المعنى وضده فهو التضاد، وهو نوع من المشترك اللفظي، فكل تضاد مشترك لفظي، وليس العكس.

---

(1) الأمالي ج1 ص 122

(2) المرجع السابق

(3) الرّبحلة: اللحيمة الجيّدة الجسم في طول

(4) الأمالي ج2 ص 270

(5) يقصد محمد بن القاسم الأنباري ، الأمالي ج2 ص 270

(6) الأمالي ج2 ص 270

(7) انظر في الأمالي اشتقاق هذه الكلمات (حذاء 1/ 117)، (خاف 211/1)، (ضاف 23/2)، (فهق 98/2)، (لص – 63/3)، (كفر 146/2)، (عقل 2/ 117)

(8) أبو علي القالي ص 232

ومن أمثلة الأضداد الأزر: القوة أو الضعف، والبسل: الحلال أو الحرام، وبلق الباب: فتحه كله أو أغلقه بسرعة، وكلّ: دك أو رفع، الحميم: الماء البارد أو الحار، المولى: العبد أو السيد. إلى غير ذلك[1].

وقد اختلف الباحثون في وروده في اللغة، حيث أنكره ابن درستويه، وألف كتابا سماه "إبطال الأضداد".

وذهب فريق إلى كثرة وروده، وأورد له شواهد كثيرة ومن هؤلاء العلماء الخليل وسيبويه وأبو عبيدة والثعالبي والسيوطي[2].

وقد كتب بعضهم مؤلفات على حدة لسرد أمثلة الأضداد، ولعل من أشهرها وأنفسها كتاب الأضداد لأبن الأنباري، الذي أحصى فيه أكثر من أربعمائة شاهد عليه.

والحقيقة أن كثيرا من ألفاظ التضاد يمكن تأويله على وجه آخر يخرجه من هذا الباب. ففي بعض الأمثلة استعمل اللفظ في ضد ما وضع له لمجرد التفاؤل كالسليم للملدوغ، والريان والناهل للعطشان، أو للتهكم كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق.

وقد يجئ التضاد في الظاهر من اختلاف مؤدى المعنى الواحد باختلاف المواقع، وذلك مثل كلمة "فوق" التي قالوا أنها قد تستعمل في ضد معناها الأصلي، فتأتي بمعنى دون كما في قوله تعالى: "إِن الله لاَ يستَحيِي أَن يضرِب مثَلاً ما بعوضةً فَما فَوقَها"[3]. أي فما دونها، والحق أنها في هذا المثال وما إليه تدل على معناها الأصلي إذ تفسير الآية: ما يفوق الذبابة حقارة[4].

[1] انظر المزهر للسيوطي ج1 ص 384 طبعة دار احياء الكتب العربية القاهرة
[2] فقه اللغة وسر العربية للثعالبي الباب الثلاثون الفصل السادس عشر المطبعة الأدبية القاهرة 1317هـ
[3] من الآية 26 من سورة البقرة
[4] فقه اللغة لعلى عبد الواحد وافي ص 196 دار نهضة مصر القاهرة

لكن إذا كنا نستطيع أن نؤول كثيرا من الكلمات التي ذكرها ابن الأنباري وغيره ممن بالغوا في إثبات التضاد كشواهد على ما يذهبون إليه، فإنه من التعسف تأويلها جميعا.

حتى أن ابن درستويه وهو على رأس المنكرين للتضاد قد اعترف ببعض هذه الألفاظ فقال:

"وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، وأحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجئ الشئ النادر من هذا العلل"[1].

هذا وقد أعاد الباحثون وجود ظاهرة التضاد في اللغة العربية إلى عدة أسباب كدلالة اللفظ في أصل وضعه على معنى عام يشترك فيه الضدان وقد يسهو بعضهم عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد، كذلك انتقال اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازي، كما أن منها اتفاق كلمتين في صيغة صرفية واحدة، وكذلك أيضا اختلاف القبائل العربية في استعمال الألفاظ، يضاف إلى ذلك اتحاد لفظ مع لفظ آخر مضاد وفقا لقوانين التطور الصوتي[2].

أما القالي فلم تلق عنده ظاهرة الأضداد عناية كافية، ولم يولها اهتماماً، إلا ما كان من إشارة عابرة، أو كلمة مقتضبة. ومن أمثلة ذلك في كتاب الأمالي قوله: "النبل: الصغار هاهنا، والنّبل: الكبار وهو من الأضداد[3]. وقوله "وقال أبو عبيدة: البين: الوصل وقرأ بعضهم "لقد تَقَطع بينُكُم وقال أبو عبيدة: البين الوصل، والبين: الافتراق وهو من الأضداد[4]".

---

(1) نص منقول عن ربحى كمال في كتابه: "التضاد في ضوء اللغات السامية" ص 9 نشر جامعة بيروت العربية بيروت سنة 1972م

(2) انظر أمثلة ذلك وشرحها في كتاب المزهر للسيوطي ج1 ص 411 وما بعدها، والتضاد في ضوء اللغات السامية لربحي كمال ص 13

(3) الأمالي ج1 ص 67

(4) المصدر نفسه ج2 ص 132

وفى مثل ثالث يقول: "والجادى: السائل والمعطى وهو من الأضداد[1] قال الشاعر:

جدوتُ أناساً مؤسِرين فما جدوا

إلا ا َ فاجدوه إذا كُنْتَ جاديا

فَجدوتُ: الأولى بمعنى فسألت الناس فما جدوا: فما أعطوه، بمعنى أعطى شيئاً.

وقد تحدث السيوطي في المزهر عمن أنكر وجود الأضداد في لغتنا، وأتى ضمن ذلك بمثالين أوردهما القالي في هذا المجال وهما قوله:

"الصريم: الصبح، سمى بذلك لأنه انصرم من الليل. والصريم: الليل، لأنه انصرم عن النهار، وليس عندنا ضدا. وقال: النطفة: الماء تقع على القليل منه والكثير، وليس بضد"[2].

غير أن هذا لا يجب أن يوهم أن القالي كان له رأي واضح في القول بالأضداد أو نفيها، وإنما كان يحتكم لفكره وذوقه اللغوي في الأمثلة التي تعرض له، فينفي منها ما يراه قابلا للنفي، ويقبل ما يراه قابلا للإثبات. ففي المثالين المذكورين، يطلق الصريم على الصبح لأنه ينصرم من الليل وينسل منه، وهو جائز أن يسمى به الليل أيضا لأنه بدوره ينصرم من النهار، فالجامع بين المعنيين هو الانصرام في الكل، فلا ضد هنا. والنطفة إذا كانت تعني الماء مجردا، فان اطلاقها على القليل منه والكثير سواء ولا ضد. كما إذا اطلقت العسل على الشئ القليل منه والشئ الكثير.

وقريب من هذا ما ذكره القالي في هذا المثال: "وقال أبو زيد[3]: السدفة في لغة قيس: الضوء وفى لغة تميم: الظّلمة، وانشد بعض اللغويين

وَأَقْطَع اللّيلَ إذا ما أسدفا[4]

---

[1] الأمالي ج2 ص 326

[2] المزهر ج1 ص 397

[3] الأمالي ج2 ص 125

[4] البيت من قصيدة للعجاج وصدره: ادفعها بالراح كي تزحلفا راجع الجزء الثاني ص 82 من كتاب مجموع أشعار العرب طبع برلين

أي: أظلم ، وبعض اللغويين يجعل السدفة اختلاط الضوء بالظلام[1]: مثل ما بين صلاة الصبح إلى الفجر".

إذن فالذي يمنع التضاد في المثال السابق اختلاف المتحدثين بالكلمة.

وفى غير ما ذكرنا من أمثلة، فان القالي لا يعترف بالأضداد، إلا عندما يعوزه الدليل، ويفتقر إلى الحجة، كما هو الحال في الأمثلة السابقة[2].

7/ القلب:

القلب اللغوي، أو ما يسمى بالاشتقاق الكبير أو الأكبر هو: أن يكون بين كلمتين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف نحو جذب وجبذ، وحمد ومدح، واضمحل وامضحل.

وأول من اهتم بهذا النوع من الاشتقاق وسماه هو ابن جني الذي أفرد له باباً خاصا سماه الاشتقاق الأكبر، افتتحه بقوله: "هذا موضع لم يسمعه أحد من أصحابنا غير أن أبا على رحمه ا كان يستعين به، ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويتروح له، ويتعلل به، وإنما هذا التقليب لنا نحن، وستراه فتعلم انه لقب مستحسن. وذلك أن الاشتقاق عندى على ضربين: كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو سلم ويسلم، وسالم وسلمان، وسلمى والسلامة والسليم: اللديغ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة... فهذا هو الاشتقاق الأصغر... وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد

---

[1] لسان العرب: هو توقيت ما بين صلاة الفجر إلى أول الأسفار...أهـ

[2] انظر الأمالي ج1 ص 132 ، ج2 ص 326

منها عليه وإن تباعد شئ من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل، إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[1].

وقد وقف الباحثون اللغويون من مذهب ابن جني ثلاثة مواقف مختلفة.

-ففريق منهم أيده وبالغ فيه ومنهم الزجاج[2].

-وفريق أنكر هذا النوع من الاشتقاق كالسيوطي الذي يقول: "وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيرا، وليس معتمدا في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب"[3].

ومن هذا الفريق أيضا إبراهيم أنيس الذي اتهم ابن جني بالتكلف والتعسف، لأنه إن استطاع في مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التي يقال إنها في جمهرة ابن دريد تصل إلى أربعين ألفا، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفا، فليس يكفى مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير[4].

ومن هؤلاء فؤاد ترزى الذي دحض هذه النظرية بحجج قوية[5].

-وهناك فريق ثالث وقف موقفا وسطا بين الفريقين السابقين، فمن ناحية تحفظ على بعض الأمثلة التي أوردها ابن جني في هذا الباب، واتهمه بالتعسف أحيانا لكنه ذهب إلى انه مع هذا التحفظ، ومع هذا الحذر من الوقوع في التكلف، يظل بحث الاشتقاق الكبير يؤتي ثمره إلى اليوم، حتى ليمكن القول: إن لغويي العرب لم يعرفوا إنتاجا أعظم منه[6].

[1] انظر الخصائص لابن جني ج3 ص 133 دار الكتاب العربي بيروت سنة 1952م
[2] انظر المزهر للسيوطي ج1 ص 354
[3] المرجع السابق ج1 ص 347
[4] من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس ص 69
[5] الاشتقاق لفؤاد ترزي ص 331-332 دار الكتب بيروت 1968م
[6] دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ص 194 دار العلم للملايين بيروت 1981م

أما ابن سيدة فقد عرف القلب فقال: "انه تصيير الشئ على نقيض ما كان عليه"[1].

لكن الخليل قد سهل على اللغويين أمره حين بنى معجمه "العين" على التقاليب ونبههم إليه، فخصوه بمؤلفات ورسائل، وهو ما اعتمد عليه ابن جني في نظرية الاشتقاق الكبير "ويسميه الأكبر" الذي حاول فيه أن يربط كل تقاليب الكلمة الواحدة بمعنى واحد.

أما القالي صاحب معجم "البارع" الذي بنى على التقاليب، فانه اكتفى في الأمالي ببعض أمثلة يوردها بين الحين والآخر. فمن ذلك قوله[2]: "وأقْفَصتِ الدجاجة إذا انقطع بيضها. ويقال: أصفَتِ الدجاجةُ وأصفَى في الشعر، وهو من المقلوب". وقال في مثال آخر[3]: "الطادِى: الثابتُ، قال القطامي: وما تَقَضى بواقي دِينها الطادِى. والموطُود: المثبت ، وموطود من وطَد يطَد واللغويون يقولون: أن هذا من المقلوب"[4].

وتحدث بأكثر من هذا عن قلب المضاعف ياء، فنقل عن أبي عبيدة قوله: "العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء فيقولون: تَظَنيت، وإنما هو تَظَننتْ... فقلب إلى الياء"[5]، ثم نقل أمثلة أخرى لهذا النوع مثل: التقضي: الذي أصله، التقضض من الانقضاض، والسرية من تسررت، والتصدية من صددت، وقَصيتُ من قَصصت، وتَلعيت من اللعاعة وقال أبو علي واللعاعة: نَبت...الخ"[6].

نرى من خلال الأمثلة التي أوردها القالي للمقلوب، انه لم يعد من ذلك إلا ما أمكن تلمس معناه الأصلي بسهولة ويسر، أما ما خفي عليه أمره، وأغلق فهمه، فإنه

---

(1) المخصص لابن سيدة ج13 ص 267
(2) الأمالي ج1 ص 34
(3) المصدر نفسه ج2 ص 201
(4) المصدر نفسه
(5) المصدر نقسه ج2 ص 171
(6) المصدر نفسه ص 171

لم يعده من المقلوب. أو على الأول فانه لم ينبه عليه. يدلنا على ذلك المثال التالي، قال[1]: "حدثنا أبو بكر قال: ذَكَر أعرابي رجلا فقال: ما لَه لَمج ُأمه، فرفعوه إلى السلطان، فقال إنما قات ملج أمه، قال أبو بكر قال أبو العباس لمجها: نكحها وملَجها: رضعها". فلم ينبه على وجود قلب بين (ملج، ولمج)، لأنهما يؤولان إلى معنيين يصعب التوفيق بينهما، الأول: نكح، والثاني: رضع. فلم يكن القالي إذن صاحب ذلك الذهن الثاقب الذي يستطيع به أن يلمح المعنى الخفي الذي يجمع بين التقاليب الستة للكلمة الثلاثية الواحدة، على نحو ما حاوله ابن جني، وهو لم يحاول أن يفعل ذلك حتى في معجمه الذي بناه على التقاليب. فان تسامحنا مع القالي قلنا: انه لم يحاول أن يشتط ويتعسف مثلما تعسف ابن جني[2].

وهناك بعد هذا، قضايا لغوية كثيرة في كتاب الأمالي ذات أهمية، كالنحت والألغاز ولكنها لم تلق العناية الكافية من القالي، لذلك نفرد له مساحة من البحث.

---

(1) الأمالي ج1 ص 137

(2) أبو علي القالي وأثره ص 234

المبحث الثاني

الظواهر النحوية والصرفية في الأمالي

رأينا من خلال دراستنا لشيوخ القالي، أن الزبيدي جعله في الطبقة العاشرة من النحويين البصريين، ورتبته في هذه الطبقة مع أصحاب ابن درستويه[1]. وكان ابن درستويه، واحداً من أصحاب المبرد رأس المدرسة البصرية في بغداد، ويقابله في عصره أبو العباس ثعلب، رأس المدرسة الكوفية في النحو. ولعل السبب في إدراج القالي ضمن أصحاب ابن درستويه خاصة – عند الزبيدي – مع أنه درس أيضاً على غيره من أصحاب المبرد، مثل الزجاج، وابن السراج، والمبرمان، والأخفش الصغير، وابن أبي الأزهر... هو أن أبا علي قد تعلم كتاب سيبويه على أبي عبد ا بن درستويه- كما سبق – واستفسر في جميعه، وناظر فيه، ودقق النظر، وكتب عنه تفسيره، وعلل العلة، وأقام الحجة، واظهر فضل مذهب البصريين على مذهب الكوفيين، ونصر مذهب سيبويه على من خالفه من البصريين أيضا فأقام الحجة له..."[2]. وكان ابن درستويه بدوره أخذ الكتاب عن المبرد.

وإذا كان الزبيدي يأبى إلا أن يجعل أستاذه أبا علي بين نحاة البصريين فهو من الناحية اللغوية أيضا يجعله من أصحاب ابن دريد الذين يكونون الطبقة السابعة من لغويي أهل البصرة، لأنه أكثر تأثيراً فيه من أية شخصية أخرى ممن درس عليهم[3].

وإذا كان ميل القالي واضحا إلى المنهج البصري ودفاعه عن مذهب (أصحابه)، هذا لا ينكر أن أبا على كما قرأ وتأثر بشيوخه البصريين في النحو واللغة، كان تلميذا أيضا لغيرهم من الكوفيين، فقد روى عن أصحاب ثعلب وفى مقدمتهم أبو بكر بن الأنباري، وأبو عبد ا نفطويه، كما روى عن ابن عمر المطرز

(1) طبقات الزبيدي ص 121
(2) المصدر نفسه ص 121
(3) أبو علي القالي وأثره ص 90

اللغوي الكوفي الذي حدثه بكتب ثعلب وما ألفه في شرح فصيحه ورد به على البصريين. وروى عن أبي شقير الذي كان يخلط بين المذهبين، ولذلك نراه في كتبه لا يقتصر على الاستشهاد بأقوال البصريين وحدهم بل أخذ أيضا عن الكسائي والفراء، وابن الأنباري، وثعلب، وأمثالهم يستعير مصطلحات الكوفيين الخاصة، مثل (الإجراء وعدم الإجراء) الذي يقابل الصرف والمنع من الصرف عند البصريين.

وهذا يعني أن القالي قد اتخذ منهجا توفيقياً يلجأ إليه أحيانا، ليختار من المذهبين ما شاء[1]، ويوفق به بين أقوال المدرستين ويجمع بين حسناتهما عند الضرورة... والقالي، وإن لم يكن من الكوفيين، إلا إنه ليس من متعصبي البصريين. يقول الدكتور شوقي[2] ضيف وهو يتحدث عن بعض النحاة من جيل القالي قال: (وكان من هذا الجيل من يغلب عليه الميل إلى الآراء الكوفية. ومن يغلب عليه الميل إلى الآراء البصرية، فاضطرب كُتّاب التراجم والطبقات إزاءه. فمنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين الكوفية والبصرية على نحو ما صنع الزبيدي في طبقاته ومنهم من أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست)[3]. فيكون الرأي الذي ينبغي الاستقرار عليه هو أن القالي من العلماء الذين انتخبوا من المذهبين ولكن مع ميل في كثير من الأحيان إلى المذهب البصري، شأنه في ذلك شأن بعض شيوخه ومعاصريه. وهو سر استخدامه للفظ "أصحابنا" في مواضع كثيرة وعبارة "عندنا" للكناية عن البصريين.

فإذا أردنا أن نتتبع هدى هذا التيار البصري عند القالي نجده واضحاً في كتابه "المقصور والممدود" – سالف الذكر – أما في الأمالي فالظواهر النحوية والصرفية قليلة بالمقارنة بالظواهر اللغوية ومن أمثلة ذلك في الأمالي قول أبي علي (الحيا:

---

[1] أبو علي القالي ص 93

[2] المدارس النحوية – دكتور شوقي ضيف دار المعارف – مصر 1968م ص 245

[3] المدارس النحوية ص 245 – انظر: الفهرست لابن النديم ، أبو الفرج محمد بن يعقوب بن اسحق البغدادي تحقيق د.ناهد عباس عثمان – دار قطرى بن الفجاءة ط1 1985م

مقصور، وجمعه: أحياء) في تفسير الغريب من حديث السحابة[1]، وفي ذلك تَبَنّى لكل ما ذكره سيبويه والنحويون والبصريون في تحديد قواعد المقصور والممدود. وقوله (والسناء من الشّرف ممدود، ومن الضوء مقصور)[2].

وفى شرح: "الْوِتْر: بكسر الواو: الذّحل، والْوَتَر بفتح الواو وكسرها: الفَرد، ويقرأ "والشّفْع والوتْر والوِتر" الفتح لغة أهل الحجاز والكسر لغة تميم، وأسد، وقيس، ويقولون في الوَتْر: الذي هو الفَرد: أوترت فأنا أوتِر إيتارا، وفى الذَحل: وتَرتُه فأنا أَتِرُه وِتْراً وتَرةً"[3] ومثل هذا كثير في الأمالي. ومن أمثلة تصريف بعض الكلمات قوله[4]: "في أسماء الإبل" – بزلَ نابه يبزل بزولا، وشقأ نابه يشقأ شُقُوءاً وشَقّأً وشقى أيضاً، وفَطَر يفْطُر فُطُوراً.

وفى قوله: "كأن زنمتَيها تَتْوا قُلَسية"[5]. أفرد التتْوان واحدها تَتْو. وفى القَلَنْسوة: قال: تصغيرها قُلَيسِية وجمع قَلْساةٍ: قَلاسِي وحكى عن الزبيدي: ما أعجب هذه القَلاَسِى التى أراها على رءوسكم، وروى أبو عبيدة عن الأصمعي وأبي زيد قُلَيسِية وجمعها قَلاَسٍ، وقرأت على أبي بكر بن الأنباري في "الغريب المصنف" قال أنشدنا أبو زيد:

-إذا ما القلاسى والعمائم أُخْنِستْ

فَفِيهن عن صلْع الرجال حسور

وفى تفسير حديث الأعرابي الذي يصِف خيلا فقال: سِباط الْخَصائل، ظِماء المفَاصل، شِداد الأباجل، قب الأياطل، كِرام النواجل.

قال أبو علي: الخَصائل: واحدتها خَصِيلة، والأباجِل: جمع أبجل، الأياطل جمع أيطل والنّواجل: جمع ناجلة.

---

(1) الأمالي ج1 ص 8، 9
(2) المصدر نفسه ص 18
(3) المصدر نفسه ج1 ص 13
(4) المصدر نفسه ض 21
(5) الأمالي ج1 ص 36

وقد شرح بعض الصيغ السماعية ومن ذلك قال القالي: الشّصائص: واحدتها شصوص وهي التي لا ألبان لها، قال الأصمعي: يقال: أشعتْ فهي شَصوص: وهو على غير القياس، وقال الكسائي: شَصت[1]،. وغيرها من النصوص الواردة في الأمالي.

هكذا سارت وصاحبت حركة الأدب الأصيل واللغة مدرسة القالي وسارت في ركابها وبجانبها، تتغذى في موائدها وتتربى في آدابها، ثم تنطلق حرة حين تشب أقلامها. وتقوى أساليبها، وقد كان لهذه المدرسة الفضل في تزويد الأدباء بالغذاء الضروري والثقافة اللازمة لكل أديب وعالم ولها الفضل في تمهيد الدراسات النحوية واللغوية والأدبية، فيرجع لهم الفضل في تدعيم أسس التراث القديم الذي قام عليه بنيان نهضتنا العملية والأدبية والفكرية الحديثة.

---

(1) الأمالي ج1 ص 67

خاتمة البحث

توصل البحث عن أبي علي القالي وكتابه الأمالي إلى جملة من النتائج أهمها:

- لقد مكنتنا الدراسة المفصلة لكتاب الأمالي من تلمس أثر هذا الكتاب الذي شغل الأندلسيين وحظي باهتمام عند أهل الأندلس ويدل على بعض المسالك التي سارت فيها الثقافة الأندلسية وعلى مقدار تأثير الكتاب في الدراسات اللغوية والأدبية.
- نال كتاب الأمالي عنايةً جيدةً من المحققين والشارحين أمثال العلامة عبد العزيز الميمني، فحققه وصححه ووضع حواشيه ثم طبعه سنة 1936م بمصر في ثلاثة أجزاء.
- أسهم كتاب الأمالي في خلق حركة علمية جديدة تتمثل في الدراسات والشروح والنقود التي قامت حوله. وذلك عندما قام بعض المعجبين به بتقليده ومحاكاته...موضوعاً وطريقةً واضطر آخرون من منافسي سمعته ومكانته العلمية إلى نقضه أو معارضته.
- عمل القالي بدخوله الأندلس على ترسيخ دعائم مدرسة كان همها أن تعنى بذلك التراث العربي القديم فتدرسه وتنميه وتضيف إليه، بما يجد من البحوث والرسائل والمؤلفات والشروح وغيرها.
- الكتاب يعطينا صورةً واضحةً للحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية في عصر القالي، والحال التي كانت عليها الأندلس عند دخول القالي، فقد ملئت المكتبات وتراكمت الرسائل والشروح والبحوث والدواوين الشعرية. فقد وجدت بالأندلس بيئة ثقافية ذات مناخ خاص، هو المناخ المتشبع بروح هذه الدراسات المتعمقة من القدم الضاربة في الأصول والتراث أو قل: بيئة عملت مدرسة القالي على ترسيخ المناهج المشرقية في محيطها، فاستلم أبناؤها

المشعل من يد المشارقة، وأدى أبو علي في ذلك دوراً كبيراً، وكان مشعل نار هذه الشعلة.

- أسهم القالي بشكل ملموس في توجيه الذوق الأدبي، وتشجيع الاتجاه المحافظ في الأدب الأندلسي ، عن طريق ارتباط الأدباء بالدراسات التي أرساها ودعمها، والنصوص التي جعلها بين أيديهم فتمثلوها، وقلدوها، وعارضوها، وأنتجوا تحت تأثيرها. وقد كان القالي ممن شجع الاتجاه القديم وكان منافسا قويا للاتجاه المحدثِ الذي كان يمثل قمته في المشرق أبو تمام وأنصاره. وقد كان تأثر الأندلسيين بهذا الاتجاه الأخير، سابقا لتأثرهم بالمذهب المحافظ. ولعل من أسباب هذه الظاهرة: "...أن الشعر المحدِث من بين جميع الموروث الشعري، احب إلى الأندلسيين، لأنه يعبر عن مرحلة حضارية يعيشونها، بينما يمثل الشعر القديم (أو البدوي) مرحلة لم يعرفوها. ولهذا تناولوا النماذج الجاهزة من الشعر المحدث وصبوا في قوالبها..."، كما يقول الدكتور إحسان عباس[1] فإذا كان القالي قد تمكن من توجيه الذوق الأدبي لغالبية رجال الأندلس وتحويله من الإعجاب بالمحدثِ - وهو ما كانوا عليه وقت قدومه – إلى الإعجاب بالقديم المحافظ – وهو ما صاروا عليه وقت قدومه- فذلك دليل على أثره في هذا الجانب إلى جانب عوامل أخرى ساعدت على تحويل ذوق أهل الأندلس.
- أن ذوق القالي لا يقبل بحال أن يوصف بالجفاف والعقم، وهو الذي يشهد كتاب الأمالي على صفائه وجودته، وقد رأينا في كتاب الأمالي أنه يكاد يخلو من شعر المديح.
- على أن المدح كان من أهم عوامل الإبداع والتجويد الفني عند الشعراء، وأن الأبيات وأنصاف الأبيات التي يمكن أن تمثل الشعر العقيم الجامد مما ورد

[1] تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة ص 120

بكتب القالي، لم تكن مقصورة لذاتها أو لغاية فنية تخدمها، بل هي مجرد أداة للاستشهاد والاحتجاج في الميدان اللغوي وليس لأجل تهذيب ذوق أو صقل موهبة، فان قصد القالي إلى شئ من ذلك أتى بالأشعار الغزلية والوجدانية الرقيقة، وكان ذلك شأنه في المقطوعات والأبيات القصيرة التي وصفت بالعذوبة والرقة والجودة أما القصائد الطوال فدونك منها ما تشاء.

- لم يقتصر القالي فيما أدخله إلى الأندلس على كتب اللغة والنحو، وهي الكتب التي تحتوي عادة على الشعر الجاف والعقيم، بل لقد جاب معه ما بيد المشرق من الشعر العربي السليم، وأتى بأحمال من الدواوين والمجموعات، التي تمثل شعر العصور الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية المعاصرة له، وضمنها ديوان أبي تمام وأشعار ابن المعتز وترسيله، وأشعار ابن دريد، وجحظة، وابن الرومي، والبحتري، وابن بسام... وإذا كان غالب ما أتى به من الشعر القديم فهذا لا يطعن في ذوقه، وهو على كل حال لم يكن رجل نحو ولغة فقط بل كان رجل أدب ذا ذوق سليم واختيار صائب.
- استطاع القالي أن يجعل من نفسه مثلا يقتدى به في السلوك والمنهج العلمي، وفى الضبط والحفظ والإتقان والرواية التي اشتهرت عنه وقد انعكس ذلك كله على سلوك ومنهج تلاميذه الكبار أولا، ثم تجلى في الاحترام والتقدير الذي ظل يذكر به عند العلماء في مؤلفاتهم ثانيا وكان يجد كل تقدير وتبجيل.

وهكذا أخيراً، نجد أنفسنا أمام كتاب قام بدوراً أساسياً في تنشيط الحركة اللغوية والأدبية بالأندلس، وترك أثراً متعدد الجوانب لم تمح صورته العصور، ولم تبدد سمعته كثرة ما عرف بعده من مصنفات وأوضاع. على أننا لا نجد للكتاب فيما تلاه من الزمن عند الأندلسيين ما يضاهيه أو يبلغ شأوه في موضوعه.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

(1)القرآن الكريم

- الأعشى: (أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل)

(2)-ديوان الأعشى، شرح د. يوسف شكري فرحات– دار الجيل بيروت ط1 1992م

-ابن بسام: (أبو الحسن على بن بسام)

(3)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – القاهرة 1945م

-بشار: (بشار بن برد)

(4)-ديوان بشار بن برد ، شرح حسين حموى –دار الجيل بيروت 1996م الطبعة الأولى

-البكري: (أبو عبيد عبد ا بن عبد العزيز بن محمد البكري)

(5)-سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني – القاهرة 1936م – مطبعة لجنة التأليف والترجمة

(6)-التنبيه على أوهام أبي على في أماليه، دار الكتب المصرية 1926م

أبو تمام: (حبيب بن أوس الطائى)

(7)-ديوان أبي تمام – شرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف 1964م

-الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري)

(8)-فقه اللغة وسر العربية المطبعة الأدبية – القاهرة 1317هـ

-الجاحظ: (أبو عثمان عمرو بن بحر)

(9)-البيان والتبيين - تحقيق فوزي عطوى مطبعة بيروت- الجزء الثاني

-ابن جنى: (أبو الفتح عثمان ابن جنى)

(10)-الخصائص – تحقيق محمد على النجار مصر 1956م الطبعة الأولى

-حاجي خليفة (مصطفى بن عبد ا الشهير بكاتب حلبى)
(11)-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبعة: حلب 1941م الجزء الأول
-الحطيئة: (جرول بن أوس بن مالك)
(12)-ديوان الحطيئة – دار صادر بيروت 1967م ، شرح أبي سعيد السكري
-ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي)
(13)-مقدمة ابن خلدون – تحقيق على عبد الواحد وافي – مطبعة القاهرة 1962م- الجزء الرابع – الطبعة الأولى
-ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر)
(14)-وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس – دار صادر بيروت 1979م
-ابن خير الإشبيلي: (أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي)
(15)-فهرسة ابن خير- مكتبة المفتى بغداد 1963م
-الخنساء: (تماضر بنت عمرو)
(16)-ديوان الخنساء – دار الأندلس بيروت 1968م
-ابن دريد: (أبو بكر محمد بن دريد)
(17)-جمهرة اللغة، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد 1345هـ
ذو الرمة: (أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهنس العدوى)
(18)-ديوان ذي الرمة – بيروت 1934م
-ابن الرومي: (أبو الحسن على بن العباس بن جريح)
(19)-ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية للكتاب 1994م

-الزبيدى: (أبو بكر محمد حسن الزبيدى)

(20)-طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر 1973م الطبعة الثانية
(21)-مختصر العين – تحقيق علال الفاسي الدار البيضاء 1963م
-السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)
(22)-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، نشر محمد احمد جاد المولى، مصر بدون تاريخ الجزء الأول
الضبى:
(23)-بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس طبعة مدينة مجريط 1884م
-ابن طيفور: (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور)
(24)-بلاغات النساء ، بيروت 1962م
-عمر بن أبي ربيعة المخزومي:
(25)-ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل بيروت ط1 1992م
-ابن الفَرضِى:
(26)-تاريخ علماء الأندلس – طبع مدينة مجريط 1890م
-القالي: (أبو علي إسماعيل بن عيذون بن القاسم القالي البغدادي)
(27)-الأمالي – المجلد الأول، الثاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، بدون تاريخ
(28)-ذيل الأمالي والنوادر – المجلد الثاني دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان بدون تاريخ

(29)-المقصور والممدود – النسخة المغربية

-القتال الكلابي:
(30)-ديوان القَتّال الكلابي ، تحقيق إحسان عباس – دار الثقافة بيروت 1989م
القشيري: (مسلم بن الحجاج)
(31)-صحيح مسلم – محمد فؤاد عبد الباقى – دار الإفتاء – الرياض 1400هـ - الطبعة الأولى
-قيس بن الخطيم
(32)-ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد – مطبعة المدنى مصر الطبعة الأولى 1962م
-ابن كثير: (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقى)
(33)-تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر بيروت 1401هـ
-كُثير عزة:
(34)-ديوان كُثير عزة – جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت 1971م
-المبرد: (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد)
(35)-الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، السيد شحاته دار النهضة القاهرة، بدون تاريخ.
-المتنبي: (أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد)
(36)-ديوان المتنبي، شرح ناصيف اليازجي تقديم د/ ياسين الأيوبي، دار الهلال- بيروت 1996م
-المسعودي: (أبو الحسن على بن الحسين)
(37)-مروج الذهب ومعادن الجوهر – تحقيق عمر بن سالم 1973م
-المقري:
(38)-نفح الطيب – طبع 1885م – الجزء الثاني

-ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم)
(39)-لسان العرب – دار صادر بيروت
-ابن النديم: (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق البغدادي)
(40)-الفهرست، تحقيق د. ناهد عباس عثمان، دار قطرى بن الفجاءة الطبعة الأولى، 1985م
-أبو نواس: (الحسن بن هاني)
(41)-ديوان أبي نواس ، تحقيق عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1953م
-ابن هشام: (أبو محمد بن هشام)
(42)أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت 1996م
-ياقوت الحموي: (أبو عبد ا شهاب الدين ياقوت بن عبد ا الرومي)
(43)-معجم الأدباء – دار الفكر للطباعة بيروت 1980م
(44)-معجم البلدان – دار صادر بيروت 1957م المجلد الرابع
ابن يعيش: (موفق الدين بن علي بن يعيش)
(45)-شرح المفصل، المطبعة المنيرية مصر، بدون تاريخ

ثانيا : المراجع :

-إبراهيم أنيس:
(46)-من أسرار اللغة، الطبعة الرابعة، القاهرة 1972م
-إحسان عباس:
(47)-النقد الأدبي في الأندلس- الجزء الرابع، 1959م

-أحمد أمين:
(48)-ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي – بيروت 2005م الطبعة الأولى – الجزء الأول
-أحمد الشايب:
(49)-تاريخ النقائض في الشعر العربي، طبعة مكتبة النهضة - مصر ط3 1990م
-حسين نصار:
(50)-المعجم العربي ، نشأته وتطوره - مكتبة مصر 1989م
-خليل الكبيسي:
(51)-أبو علي القالى وأثره بالفكر الأندلسي – المؤرخ العربي
-ربحى كمال:
(52)-التضاد في ضوء الدراسات السامية – نشر جامعة بيروت العربية، بيروت 1972م
-رمضان عبد التواب:
(53)-فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي القاهرة
-زكي مبارك:
(54)النثر الفني في القرن الرابع، القاهرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ الجزء الأول
-شوقي ضيف:
(55)-المدارس النحوية، دار المعارف مصر 1968م
-صبحى صالح:
(56)-دراسات في فقه اللغة – دار العلم للملايين بيروت 1982م
-عباس محمود العقاد:
(57)-المرأة في القرآن، طبعة دار الهلال القاهرة

- عبد العلي الودغيري:

(58)- أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، اللجنة المشتركة لإحياء التراث العربي والإسلامي المغرب 1983م

(59)- المعجم العربي في الأندلس – عالم الفكر 1981م بيروت

- عمر الدقاق:

(60)- أبو علي القالي ومنهجه في البحث والتأليف – دار الشرق – حلب 1977م

(61)- رائد التأليف المعجمي في الأندلس، أبو علي القالي- المصدر التراث العربي 1403هـ

- على الحديدي:

(62)- أدب الأطفال، دار النهضة مصر 1992م

- على عبد الواحد وافي:

(63)- فقه اللغة، دار النهضة القاهرة 1996م

- فؤاد ترزى:

(64)- الاشتقاق دار الكتب، بيروت 1968م

- مصطفى الشكعة:

(65)- مناهج التأليف عند العلماء العرب دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الثانية 1974م

- مصطفى عليان:

(66)- تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة بيروت 1978م